الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة تلمسان

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

تخصص : حضارة عربية إسلامية

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر

الموسومة بـــ

أدب السيرة عند طه حسين
كتاب "الأيام" أنموذجا

من إعداد الطالبتين:

عمور مريم

زدام أمينة

تحت إشراف الأستاذ المحترم :

لطرش عبد الله

السنة الجامعية:

1434هـ-1435هـ 2013م-2014م

..... رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا

رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى

الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا

بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا

فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ

صدق الله العظيم

سورة البقرة: الآية : 286 .

كلمة شكر

الحمد لله نحمده ونشكره على فضل نعمته علينا فلولاه لما وفقنا في إنجاز هذا العمل المتواضع .

نتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى أستاذنا الفاضل الذي تتبع مسيرة عملنا المتواضع في كل صغيرة و كبيرة ولم يبخل علينا بتوجيهاته الدكتور لطرش عبد الله

كما لا تفوتنا شكر اللجنة المناقشة، ودون أن ننسى جميع الأساتذة لعدم بخلهم لإعطائنا بعض المعلومات التي ساعدتنا في إنجاز هذا العمل،

كما نتقدم بالشكر إلى السيد رئيس شعبة الحضارة العربية الإسلامية الدكتور مرتاض محمد وإلى كل الذين ساعدونا في هذا العمل من قريب أو بعيد .

شكرا جزيلا

إهـــداء

أهدي ثمرة جهدي إلى اللذين قال الله عز وجل فيهما بعد بسم الله الرحمن الرحيم: «وبالوالدين إحسانا».

إلى أعذب من تحدثت إليه شفاه البشر، إلى التي تفرح لفرحتي وتحزن لحزني، إلى من عرفت في حضنها الحب والحنان والوفاء إليك أماه "ربيعة".

إلى من تتواضع الكلمات من خشيته إلى من علمني بأن الحياة عمل وكفاح إليك والدي "أحمد".

إلى أمراء قلبي إخوتي وأخواتي: مريم أسماء، إلى لحسن وإسماعيل.

إلي من سيقاسمني حياتي المستقبلية والزوجية "محمد معروف"

كما أهدي ثمرة جهدي المتواضع إلى من قاسموني السعادة والألم إلى عماتي رحمة وفاطمة وزكية.

إلى رفيقات دربي: مريم، نصيرة، وفاء.

إلى كل طلبة دفعة 2013م – 2014م.

إهـــداء

أهدي ثمرة جهدي إلى منارة العلم و الإمام المصطفى سيد الخلق إلى رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه و سلم

إلى منبع الحنان و العطاء إلي من ضحت من أجلي "أمي الغالية"

إلى القدوة الصالحة و المثال الحق للعطاء و التضحية "أبي الغالي"

إلى السيد مدير المدرسة الإبتدائية "أحمد عمور بالسطور- ندرومة -" الذي ساندني و أعانني على متابعة دراستي فله مني عظيم الشكر و جزيل الإمتنان مع تمنياتي بموفور الصحة و العافية.

إلى جميع إخوتي و أخواتي: محمد و بلال و شريفة و أمال ، و زوجة أخي حنان و زوج اختي عبد الحليم

إلى كتكوت العائلة محمد الأمين و الأميرتين الصغيرتين إيمان و نور الهدى.

إلى أعز صديقاتي نصيرة و جميع أفراد عائلتها.

إلى زميلاتي في العمل ثرية ، فاطمة ، سارة ، وفاء ، أمينة. دون أن أنسى جميع المعلمات.

إلى شريكة في الدراسة " أمينة "

**** مـــريـــم****

المدخل
ماهية السير و تاريخها

المبحث الاول
تعريف السيرة

أ ـ لغـــة
ب ـ اصـطلاحا

المبحث الثانـي
السير عبر التاريـــخ

المـــدخـــل **: ماهية السيرة و تاريخها**

المبحث الأول:**التعريف بالسيرة :**

أ-لغة: أورد ابن منظور في معجمه الكبير (لسان العرب) فيما يخص لفظ السيرة: **السيرة** الضرب من السير، و السيرة: الكثير السير هذه عند -ابن جني-، و السيرة: السنة و قد سارت و سيرتها، قال خالد ابن زهير. و قال ابن بري: هو لخالد ابن أخت أبي ذؤيب و كان أبو ذؤيب يرسله إلى محبوبته فأفسدها عليه فعاتبه " أبو ذؤيب " في أبيات كثيرة. فقال له خالد :

فإن التي فينا زعمت ومثلـــها لفيك و لكني أراك تجورهـــــا
تنقدتها من عند وهب ابن جابـــــر و أنت صفي النفس و غيرهـــا
فلا تجز عن من سنة أنت **سرتــها** فأول راض سنة من **يسيرهـــا**

يقول أنت جعلتها سائرة بين الناس و قال أبو عبيد: سار الشيء و سيرته فعم و أنشد بيت خالد بن زهير. و السيرة: الطريقة، يقال سار بهم سيرة حسنة، و السيرة: الهيئة و سير سيرة: حدث أحاديث الأوائل.([1])

و في القاموس المحيط " للفيروزبادي " نجد ما يلي: السير الذهاب، كالمسير والتسيار والمسيرة والسيرورة وسار يسير وساره غيره و أساره و سار به و سيره، والاسم السيرة : و طريق مسور و رجل مسور به. و السيرة: الضرب من السير , و كهمزة: الكثير السير، و السيرة بالكسر السنة

و الطريقة و الهيئة و الميزة.([2]) و جاء في مختار الصحاح لمحمد ابن أبي بكر ابن عبد القادر الرازي في باب السين في مادة - سير– سار من باب باع و تساير و مسيرا، أيضا يقال:

بارك الله في مسيرك أي في سيرك، و سارت الدابة و سارها صاحبها يتعدى و يلزم، و السيرة: الطريقة يقال سار بهم سيرة حسنة و سايره أي جاراه فتسايرا.([3])

و في (معجم مقاييس اللغة) لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا نجد قوله: (سير) السين والياء و الراء أصل يدل مضي و جريان يقال: سار يسير سيرا و ذلك: يكون ليلا و نهارا، والسيرة: الطريقة في الشيء و السنة لأنها تسير و تجري و يقال سارت، و سرتها أنا: قال:

فلا تجز عن من سنة أنت سرتها فأول راض سنة من يسيرها(2)

و في كتاب " تفسير من نسمات القرآن" للدكتور غسان حمدون نجده يفسر قوله عز و جل في الآية الحادية و العشرين من سورة طـه: " سنعيدها سيرتها الأولى "(سورة طه 21) فيقول : (سيرتها الأولى) حالتها التي كانت عليها و من خلال استعراضنا للمفهوم اللغوي لمعنى كلمة (سيرة) المقدم في معجم لسان العرب و في القاموس المحيط ، و مختار الصحاح ، و مقاييس اللغة بالإضافة إلى التفسير القرآني الوارد في كتاب تفسير من نسمات

---

[1]- ابن منظور، "لسان العرب"، دار صادر – بيروت – ط01، (1990)، المجلد 04، ص 389.

[2] - الفيروزبادي " القاموس المحيط " دار إحياء التراث العربي ، بيروت ط 01 (1997) ج 01 ، ص 597.

[3] - محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي " مختار الصحاح " دار مكتبة الهلال، بيروت (د ط)(1988) ص 325.

القرآن نجدها جميعا متفقة في أن المعنى اللغوي لكلمة السيرة هو الطريقة و المذهب و الهيئة و السنة.

ب- اصطلاحا: لا تقتصر الفنون الأدبية على الشعر و القصة و المسرحية بأنواعها المختلفة ، فهناك نوع آخر يتمثل في أدب السيرة : و هو أدب يحكي حياة شخص أو جماعة قليلة العدد تتبع ذلك الشخص، و مع أنه أدب إلا أنه أكثر ميلا إلى التاريخ، فقد كتب عدد من شخصيات العالم تاريخ حياتهم على شكل سيرة مثل : نهرو، و تشرشل. وهو أدب قديم عند العرب و غير العرب، و كان عدد من الأدباء العرب يختتمون كتاباتهم بسيرة ذاتية لحياتهم ، و كثيرا ما تفيد كتب السيرة أدبية في معرفة جوانب من الحركات الأدبية و السياسية مما لا يظهر أحيانا في كتب التاريخ و الأدب و كان هذا اللون يستهوي الناس و مازالوا لأن المرء بطبعه ميال إلى معرفة حياة الآخرين.

وقد يكتب بعضهم سيرة حياة بعض الزعماء و الأمراء مثل الكتب التي كتبت حول صلاح الدين الأيوبي و عمر بن عبد العزيز و سيف الدولة، و تعتبر السيرة النبوية منطلق أدب السيرة و هي دليل بالتالي على قدم هذا اللون و قد دخل أدب السيرة ميدان الشعوب فألفت كتب سير الأبطال مثل سيرة بني هلال و قد أخذ أدب السيرة أشكالا عديدة من أشكال السيرة. أما أسلوبه فترجح بين الشعبية و بين الانسجام البلاغي كما أن بعضهم كان يجنح إلى كتابة السيرة على أساس اليوميات.([1])

كما يمكن اعتبار " السيرة ترجمة مطولة تنفرد بمصنف على حدة، و تتناول جميع جوانب حياة صاحب السيرة فكاتب السيرة هو أديب فنان، مثله مثل الشاعر و القصصي في طريقة عرضه وبنائه، إلا أنه يختلف عنهما في أنه يخلق الشخصيات من خياله و لا يعتمد الشخصية الأسطورة ككاتب المسرحية ".([2])

" و ترجمة الحياة biography هي الكتابة عن أحد الأشخاص البارزين لجلاء شخصيته، والكشف عن عناصر العظمة فيها. و هي تتسع لتشمل جوانب العظمة و جوانب الانحطاط - إن وجدت - في شخصية المترجم له. فالترجمة هي في الواقع عملية تحليلية لكل مركز من عناصر كثيرة مختلفة هو الشخصية. و من خلال هذا التحليل تبرز القيم الإنسانية التي تنطوي عليها الشخصية و التي يهم الآخرين الإطلاع عليها."([3])

" و السيرة قطعة أدبية تقوم على مجموعة من العناصر الأساسية، كالعنصر العقلي والذي يحتوي على الأفكار و المعاني و العنصر الوجداني كالعاطفة و المشاعر، التي تتميز بالقوة والحيوية و الغضب و الصدق و العفوية

و العنصر الفني و الذي يتعلق بحسن التأليف و جمال الأسلوب و العبارة، أما العنصر الخيالي فصاحب السيرة لا يشترك فيه مع الشاعر و القصصيو المسرحي، بل إن أعماله متصلة بالأحداث العامة و متأثرة بها".([4])

---

1 - محمد التونجي " المعجم المفصل في الأدب " ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط 02 (1999) ج 1 ص 56 .

2 - أحمد عزوز " مواضيع مختارة في الأدب العربي " ، دار الريحانة (د ط) (د ت) ص 78 .

3 - عز الدين إسماعيل " الأدب و فنونه " ، دار الفكر العربي ، ط 08 (د ت) ص 165 .

4 - أحمد عزوز " مواضيع مختارة في الأدب العربي " ص 78.

و من ثم يتحدد عمل كاتب السيرة مبدئيا في جمع المصادر و الحقائق و كل الوثائق المتصلة بالشخص الذي يترجم له ثم تركيب صورة لحياة هذا الشخص بطريقة تجعل منها ـ إلى جانب ذلك ـ عملا أدبيا بكل ما للعمل الأدبي من مقومات.([1])
و يمكننا تقسيم السيرة إلى قسمين اثنين هما:

أ ـ السيرة الذاتية:

يكتبها الأديب عن نفسه بصفة ذاتية، حيث ينظر إلى نفسه و يسلط أضواء النقد و دقة الملاحظة على شخصيته، و أول سيرة ذاتية في العصر الحديث هي" الساق على الساق فيما هو الفرياق " لأحمد فارس الشدياق . و منها كذلك " ا **لأيام** " لطـه حسين و " **حياتي**" لأحمد أمين.

و تنقسم السيرة الذاتية حسب كيانها العام و غايتها إلى الأصناف التالية:

1- صنف إخباري محض و هو يضم الحكايات ذات العنصر الشخصي ، سواء كانت تسجل تجربة أو خبرا أو مشاهدة مثل حكاية "الجاحظ " عن نفسه.

2- صنف كتب التفسير و التعليل و الاعتذار و التبرير مثل سيرة " ابن خلدون ".

3- صنف يصور الصراع الروحي كما في سيرة " ابن الهيثم ".

4- صنف يقص قصة المغامرات في الحياة، و ما يلاقيه المرء من تجارب مثل مذكرات " أسامة بن منقذ " التي سماها كتاب " الاعتبار ".([2])

" و يمكن أن يقال أن أصدق حياة يمكن أن يكتبها الإنسان هي ترجمته لحياته الخاصة، فهو أعرف الناس بها، و لكن يبدو أن هذا غير صحيح في كثير من الأحوال ففهم الإنسان لنفسه أمر مشكوك فيه فربما كانت قدرته على فهم الآخرين أكبر من قدرته على فهم نفسه و اعتماد الإنسان على ذاكرته في استرجاع أحداث حياته يجعل من المحتمل إفلات كثير من الوقائع الصغيرة ذات الدلالة الكبيرة ... و من جهة أخرى يستطيع كاتب السيرة الذاتية أن يتجنب من الوقائع القديمة مالا يرضى عنه، و بخاصة تلك الوقائع التي لا يعرفها أو لم يعد يعرفها أحد سواه.

و من ثم يحتاج لكثير من الصراحة و قبل ذلك إلى كثير من الشجاعة لإثبات الوقائع التي لا يرضى عنها... يضاف إلى هذا أنه مهما بلغت صراحة كاتب السيرة الذاتية و شجاعته فإنه غالبا ما يحرص على تقديم صورة متناسقة لحياته من أولها إلى آخرها، و هو لذلك قد يتجنب تلك الوقائع التي قد تبرز نوعا من التناقض في شخصيته. و كل هذه العوامل تجعل السيرة الذاتية شاقة على نفس صاحبها. و قليلون هم أولئك الذين استطاعوا أن يكونوا صادقين مع أنفسهم في ترجمتهم لذواتهم ".([3])

ب ـ السيرة الغيرية أو العامة :

1- عز الدين إسماعيل ، "الأدب و فنونه " ص166 .

2- أحمد عزوز " مواضيع مختارة في الأدب العربي " ص 79 .

3-عز الدين إسماعيل " " الأدب و فنونه " ص 171.

يكتبها الأديب عن غيره و يشترط أن يلتزم الموضوعية، يلمح بسرعة، و يفهم الأحـكام ويلم الحقائق، و يحكم عليها و يمزجها مزجا عادلا، و يصفها بأسلوبه و من أمثلتها جبران خليل جبران " لميخائيل نعيمة، و " حياة الرافعي " لمحمد سعيد العريان .([1])

لكن مهمة كتاب السيرة لا تقتصر على تصوير حياة الشخص الذي يترجمون له و إنما تمتد إلى العصر الذي عاش فيه و يرى E.Grosse إدموند جروسيه أن هذا التصوير خطأ، لأن ترجمة الحياة أو كتابة السيرة دراسة محدودة بحادثين هما الميلاد و الوفاة و من ثم يجب أن تكتب السيرة بحيث تجعل الشخصية الأساسية في حالة استرخاء كلي.

و عليه فمن واجب كاتب السيرة أن يلم بكل الحقائق التي لها صلة مباشرة بالبطـــل و بالأحداث و المواقف التي كان لها تأثير في حياته فلا يحق له أن يهمل أي مصدر يمكن أن يمده بشيء من هذا. و من ثم حددت المصادر اللازمة لكتابة السيرة بما يلي :

أ ـ الكتب التي سبق تأليفها في الموضوع أو في موضوع متصل به.

ب ـ الوثائق الأصلية، كالخطابات أو اليوميات أو السجلات الرسمية.

ج ـ ذكريات المعاصرين، و مقتنيات الشهود الأحياء. و ذلك عندما لا تكون الفترة موضوع الدراسة بعيدة.

د ـ ذكريات المؤلف نفسه إذا كانت له معرفة شخصية ببطله، كما هو ماثل في ترجمة بوزول لحياة " جونسون " أو ترجمة العقاد لـ " سعـــــــد زغلول ".([2])

و أخيرا ينبغي على الكاتب – قدر المستطاع - أن يزور الأماكن التي يجد نفسه مضطرا لوصفها. إن السيرة لون أدبي له مكانته و حظوته بين أنواع الفنون الأدبية الأخرى بما يحمل للناس من نماذج بشرية و قيم إنسانية لا بد أن يكون لها أثرها في تكوينهم و توجيههم، و لكنه يحتاج دائما إلى الكاتب الخبير المتمكن. و نرجوا أن يصرف الأدباء جزءا من جهودهم للنهوض بهذا النوع. و قد كانت سيرة النبي صلى الله عليه و سلم هي أعظم سيرة عبق أريجها عبر التاريخ و فاضت بدور و عبر و راح الرواة يتداولونها على مر العصور، ثم تلتها باقي السير الأخرى

المبحث الثاني: السير عبر التاريخ :

إن فن السيرة ليس من مبتكرات عصرنا الحاضر بل هو عريق في القدم ، عرفه العرب منذ صدر الإسلام و أقبلوا عليه أيما إقبال فكان لنا منه على توالي الأجيال عدد وافر من المؤلفات ملأ بعضها مجلدات كبيرة ، منها العام الذي يتناول أشخاصا كثيرين ككتاب " ا **لطبقات** " لابن سعد **(ت 220 هـ)** و كتاب الأغاني لابن فرج الأصفهاني **(ت 256 هـ)** و معجم الأدباء لياقوت الحموي (**ت 626هـ**) و منها الخاص كالسيرة النبوية لابن هشام نقلا عن ابن إسحاق (**ت 152 هـ**) و ما جرى مجراها مما يدور على شخص واحد، و للإيضاح سنطلق على الأول (**أي العام**) كتب التراجم و على الثاني (أي **الخاص)** كتب السيرة.

- **كتب التراجم العامة :**

مما لا مراء فيه أن أسلافنا عنوا جدا بهذا النوع من الأدب و جروا فيه شوطا بعيدا بدليل ما نراه في أدبنا القديم من وفرة الكتب في شتى أوجه الترجمة من تاريخية و أدبية و دينية و سواها . ففي التراجم التاريخية نرى للمصنفين اهتماما بينا يجمع المعلومات و الأخبار المتعلقة بالمترجم له ، و تتراوح الترجمة لهم في الكتاب الواحد بين عرض مقتضب لا

---

1 ـ إحسان خضر الديك " دراسات في اللغة و الأدب " دار المستقبل للنشر و التوزيع (د ط)(1996) ص 129 .

2 ـ عز الدين إسماعيل " الأدب و فنونه " ص 169.

يتجاوز الصفحتين أو ثلاث و بحث مسهب قد يملأ عشرات الصفحات .ومن الإنصاف أن نقول أنه برغم ما يشوبها من اختلاط الغث بالسمين ، نجد فيها معلومات قيمة لا يستغني عنها باحث مستفيد. و

لولاها لفاتنا الكثير من المعلومات التاريخية و الأدبية على أنه لا بد من القول أن التراجم الأدبية القديمة كثيرا ما تفقد قيمتها لحرص أصحابها على إلباسها حللا من صناعة البديع ، فإذا هي أوصاف منمقة و عبارات مسجوعة تشوه أو تحجب ما يتوخاه القارئ من الحقائق ، خذ مثلا " **يتيمة الدهر** " للثعالبي الذي حاول أن يرسم لنا فيها صورا لأبناء عصره من شعراءو أدباء فنحن لا ننكر ما في كتب التراجم القديمة من فوائد . و لكن طريقتها لا تصلح في عصرنا هذا ، عصر الدرس القائم على البحث و التحليل([1]) .

فإذا راجعنا بعض كتب التراجم العصرية من تاريخية و أدبية أمثال " **تراجم مشاهير الشرق** " لجرجي زيدان و " **أعلام المقتطف** " و " **قادة الفكر** " لطـه حسين و " **أمراء الشعر العربي** " للمقدسي. وجدناها تنهج نهجا جديدا في جمع المعلومات و مراجعة الأصول و درس النصوص ثم في استنساخ الحقائق و كيفية عرضها، و لا شك أن هذا النهج الجديد مكتسب من الاحتكاك بالأدب الغربي الذي تقدم فيه أدب السيرة تقدما كبيرا. و قد أصاب محمد عبد الغني حسن إذ قال : " و لقد أخذت السير و التراجم في القرن العشرين تنزع عنها أثواب القدم و تخرج عن ذلك النهج الرتيب الذي صارت عليه خلال عصور التاريخ الإسلامي ، و تجد في أساليب الفرنجة منهجا تسير نحوه وتتابع خطاه، و لم تعد الترجمة نقلا لنصوص قديمة و جمعا لطائفة من المعارف في غير تبويب و لا تحليل و لا تركيب."

- **السير الخاصة:**

و هي نوعان : سيرة ذاتية تدور حول حياة كاتبها و تعرف في اللغات الغربية (Auto biographi)و سيرة موضوعية أو غيرية تدور حول حياة شخص آخر و مهما كان نوعها فإنها لا تكتسب صفة السيرة بعناها الحقيقي لا إذا كانت تفسيرا للحياة الشخصية في جوها التاريخي أو كما يقول ناقد عصرنا " أن يكون فيها ملتقى الحق الفني بالحق التاريخي فهي ليست مجرد أخبار تاريخية و ليست مجرد تحليلات نفسية و اجتماعية، بل هي كل ذلك مسبوكا.

أ ـ السيرة الموضوعية :

إن أول ما ظهر في أدبنا في هذا الباب " السيرة النبوية " و قد تلاها على مر العصور كتب تناولت حياة بعض الأعلام من أولي الأمراء من أهل الأدب. و يظهر أن سير الملوك و الأمراء و الحكام و أمثالهم، كانت في الغالب تجري مجرى الأخبار التاريخية فتبسط لنا الحوادث المتعلقة ببطل السيرة أو بعصره و قلما تمس من حياته الخاصة لأن ما يشهد له بمكارم الخلاق. و الذي يبدو لنا أن الذين كتبوا سير الأدباء و العلماء كانوا أقرب إلى ما يسمى دراسة نقدية من الذين كتبوا سير الملوك و الأمراء و أمثلتها " أنصاف التحري " لابن العديم بن شداد"،" صلاح الدين "،" لابن طولون"، على أن كتاب السيرة في نهضتنا الحديثة خطوا خطوات إلى الأمام في درس الأشخاص دراسة قائمة على البحث التاريخي الصحيح و تفهم العوامل الفعالة في حياتهم ، محاولين عرضها في إطار أدبي ممتع و قد راجت كتابة السيرة الموضوعية فظهر منها عدد كبير نذكر منها على سبيل التمثيل " أبو نواس " لعمر

([1])- أنيس المقدسي " الفنون الأدبية و أعلامها في النهضة العربية الحديثة " دار العلم للملايين ، بيروت الط5(1990) ص 547 إلى ص 551.

فروخ ،" الحسن البصري "لإحسان عباس، " مالك بن أنس " لأمين خولي، " محمد النبي " لحسين هيكل، " العبقريات " للعقاد ...إلخ.([1])

ب ـ السيرة الذاتية :

" هي أن يتولى المرء كتابة تاريخ حياته بنفسه، فيسجل حوادثه و أخباره، و يسرد أعماله وآثاره، و يذكر أيام طفولته و شبابه و كهولته ، و ما جرى له فيها من أحداث تعظم و تضؤل تبعا لأهميته، و هي مظنة الإغراق و المغالاة غالبا ..."([2])

حاول بعض القدماء أن يكتبوا سيرة أنفسهم فجاء بعضها أشبه في التاريخ كما نرى في كتاب " الاعتبار " لأسامة بن منقذ، و هو عند التحقيق مرجع من المراجع التاريخية فيما يختص بالعالم الإسلامي في خلال القرن السادس الهجري و كتاب " التعريف " لابن خلدون و هو سيرة ذاتية ذيل بها تاريخه المشهور فحدثنا عن نسبه و نشأته و مشيخته و كل ما يتعلق بحياته من سفر. وفي أوائل نهضتنا الأدبية الحديثة ظهر من السير الذاتية كتاب " الساق على الساق " لأحمد فارس الشدياق، و " الشيخ رشيد رضا " و هو ما يحصر الكلام في نفسه و نسبه و ماله من آثار أدبية و علمية، و من السير الذاتية التي تعد من الفن " الأيام " لطـه حسين سيرة سلامة موسى " تربية سلامة موسى "، و كتاب " حياتي " لأحمد أمين. و قد لاح في أدبنا الحديث شيء قريب من السيرة الذاتية و هو المذكرات و هو نوع من الأدب مستملح و مفيد ومن أمثلته مذكرات أحمد شفيق في نصف قرن، و مذكرات محمد علي كرد، و عبد الله بن الحسين و سواها .([3])

إن اطلاعنا على تاريخ السيرة في الأدب العربي يزيدنا معرفة بهذا الأدب ، الذي لقي رواجا كبيرا على مر العصور الأدبية، ففي أدبنا الحديث مثلا نماذج عديدة لهذا الفن الذي حظي باستحسان و اهتمام أغلب القراء و الدارسين ، و هذا ليس بالأمر الغريب إذا ما وقفنا على فائدته في الكشف عن جوانب عديدة في حياة صاحب السيرة أو الاستفادة من تجاربه الشخصية في أمور الحياة إلى غير ذلك من الفوائد .

---

1 ـ المرجع سابق . أنيس المقدسي " الفنون الأدبية و أعلامها في النهضة العربية الحديثة " ص 551 إلى ص 555 .

2 ـ محمد عبد الغني حسن " التراجم و السير" دار المعارف بمصر الط 02 (د ت) ص 08 .

3 ـ " أنيس المقدسي " الفنون الأدبية و أعلامها في النهضة العربية الحديثة " ص 551 إلى ص 555 .

الفصل الأول

طه حسين وأدب السيرة

المـــــــبحث الأول:

ـ التعريف بالأديب

المـــــــبحث الثاني:

ـ تقديم مؤلفاته في السيرة

المبـــــــحث الثالث:

ـ دوافع تأليفه في السيرة ومنهجه فيها

أ ـ الدوافع

ب ـ المنهج

الفصل الأول: طه حسين وأدب السيرة

المبحث الأول: التـعريف بالأديب

1 - حياته:

طه حسين مفكر وأديب واسع الشهرة، عرف بعميد الأدب العربي إذ كان له دور فريد في الأدب الحديث تأليفا ودراسة وترجمة ونشرا، ولعب دورا في ميداني الوطن والثقافة حظا وتوجيها وتطويرا كما كان له دور في حقل التربية إذ أقر التعليم المجاني لشعبه عندما تولى وزارة المعارف، ونادى بمبدئه المشهور " التعليم إجباري كالماء والهواء "([1]).

ولد طه حسين سنة 1889م بمحافظة "مغاغة" بمصر العليا، وتوفي في 28 أكتوبر 1973م عن عمر يناهز 84 سنة، وكان ذلك بعد يوم واحد من نيله جائزة الأمم المتحدة لأبرز المنجزات في حقل حقوق الإنسان. وقد شاءت الصدف أن يشتهر تحت اسم "طه حسين"، وفي الحقيقة فإن "طه" ورد اسمه الكامل في شهادة الميلاد "طاهر حسين"، لكن هذا الاسم الأول لم يكن متداولا شائعا لهذا لم يكن لينا ديه به أحد، وعندما غدا موظفا حكوميا اضطر ليجري معاملة رسمية لدى المحكمة الشرعية لتغيير اسمه ولإثبات اسمه الشائع "طه"، وفاز قانونيا باسمه المكتسب "طه"([2]).

فقد بصره وهو في الثالثة من عمره، ومع ذلك فقد أكب على العلم دراسة وتحصيلا، وبرز في دراسته الأكاديمية ونال أعلى الدرجات العلمية، وكان له في بلاده وفي أوروبا أعظم الأثر ففي سنة 1902م دخل "الأزهر" وكان أزهريا معمما يكره الأزهر ويثور على تقاليده وتخلفه وضيق آفاقه.

وفي سنة 1912م التحق بالجامعة المصرية (جامعة القاهرة حاليا) للدراسة المدنية ونال فيها دكتوراه الأولى في الأدب سنة 1914م على رسالته "تجديد ذكرى أبي العلاء".

أوفدته الجامعة في بعثة إلى "السوربون" حيث نال دكتوراه الثانية في الفلسفة على رسالته "فلسفة ابن خلدون الاجتماعية"، التي ترجمها محمد عبد الله عنان([3]).

كما نال شهادة الدراسات العليا في التاريخ وما لبث الفتى الضرير أن اتخذ مكانا ثوريا أماميا ومستقبليا في الأدب والفكر العربيين.

وفي سنة 1925م عين أستاذا لآداب العربية في الجامعة المصرية، وقد درس فضلا عن الأدب، التاريخ والفلسفة والتربية، وفي سنة 1930م أنتدب عميدا لكلية الآداب في الجامعة نفسها، وكان من العناصر الأساسية التي أسهمت في تأسيس جامعة الإسكندرية وأصبح في سنة 1943م أول مدير لها. وفي سنة 1950م اختير وزير للتعليم، وفي سنة 1952م منحته كلية "ترينتي" بجامعة "أكسفورد" في انجلترا درجة دكتوراه فخرية في الأدب وبعد سنة 1952م اعتزل "طه حسين" العمل الرسمي ومع ذلك منحته الدولة سنة 1958م جائزتها التقديرية للآداب.

بدأ حياته الصحفية سنة 1910م في "الجريدة" وفي سنة 1933م تفرغ للصحافة في جريدة "كوكب الشرق" وكان في الخمسينات واحدا من رؤساء تحرير صحيفة "الجمهورية".

---

[1]- حنا الفاخوري :الجامع في تاريخ الأدب العربي"- الأدب الحديث- دار الجيل. بيروت - الط02، (1995م)، ص337.

[2]- أحمد علبي "طه حسين - رجل وفكر وعصر"، دار الآداب بيروت، الط 01 (1985م) ص 27.

[3]- عبد الرشيد صادق محمودي،"من الشاطئ الآخر، طه حسين- في جديده الذي لم ينشر سابقا"، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، الط 01 (1990م) ص 08.

وفي سنة 1917 تزوج فرنسية تدعى "سوزان" وأنجب منها السيدة أمينة حرم الدكتور "حسن محمد الزيات"، والدكتور "مؤنس" الذي كان يعمل في منظمة اليونسكو بباريس ([1]).
هذا هو طه حسين الأديب الناقد الذي ذاعت شهرته في المجتمعين الشرقي والغربي على حد سواء لما كان له من آراء أثارت جدلا واسعا في الأوساط الأدبية والنقدية، ولما خلفه من تراث أدبي ونقدي أغنى به المكتبة العربية.

2- شخصيته:

لقد جاء في أحد ملحقات "مجلة النهار" من سنة 1973م على لسان الدكتور صلاح الدين المنجد كلام موجز وصريح في شخصية "طه حسين" نورده في غير تحفظ. قال: "عملاق قد ملأ عصره بوجوده وهزه بنزواته وآرائه وخصوماته. كان عجيبا في كل شيء لأنه كان يكره الاعتدال، عجيب في عماه الذي أعطاه الذكاء المتوقد، وفي سخريته من القدر وحبه الخروج عليه، وفي جرأته المتهورة أيام شبابه التي قادته للهجوم على التوراة وإبراهيم، متابعا مرجوليوت وهوار، وفي خصامه العنيف مع جميع ذوي الشأن من أدباء مصر من المنفلوطي وشوقي إلى توفيق الحكيم مرورا بالمازني، العقاد والرافعي والزيات، وزكي مبارك وأحمد أمين، وفي جبروته وعناده، وفي عونه الذين يلجئون إليه
ويلوذون به، وفي ملاطفته الطغاة والحكام من السلطان حسين كامل إلى عبد الناصر، وفي حبه السيطرة على كل شيء، مهما دق وجل، في كل منصب تبوأه، أو عمل به، وفي أسلوبه البكر النقي، السلس الصافي الذي طلع به على الناس، فبهر أبصارهم وفتن قلوبهم، وفي حديثه الممتع الساحر إذا تحدث، وإلقائه الناغم الرنان الأخاذ للقلوب والأسماع إذا خطب، وفي نهجه الجديد في نقده ودراسته، الذي قلب الموازين وغير المفاهيم، وفي بقائه طوال حياته أسيرا لعاطفته، يرجع إليها ويقيس بها.
نعم كان عجيبا في كل شيء وعبقريا أيضا، ولابد للعبقري من هذه الشخصية المتناقضة المعقدة، وإلا كان شأنه شأن العامة من الناس... لقد مضى طه حسين، هذه الشخصية الكبيرة العجيبة التي عقدها العمى أي تعقيد، مضى بعدما أعطى البلاد العربية الكثير من فكره وأدبه وعلمه، فتأثر به الكثيرون وثار عليه الكثيرون أيضا، مضى بعدما خاض في السياسة والأدب معارك ضارية بعنف وعناد وجرأة، فخرج منها مثخنا بالجراح والاتهامات، أو مكللا بالغلو والمديح، مات وخلف عشرات وعشرات من المؤلفات، وآلاف مؤلفة من التلاميذ، كان شأنه شأن العميان العباقرة، في أدبنا الذين عاشوا بالضجيج والعجيج، وشغلوا الناس بما قالوا ونظموا، من بشار إلى المعري، وصريح الغواني... وتركوا الدنيا وأهلها يشتغلون بهم([1]).
لكن ماذا سيبقى من طه حسين الأديب والباحث والمؤرخ والناقد والمعلم، للأجيال المقبلة والتاريخ؟
سيختلف الناس فيه أيضا كما اختلفوا في حياته، لكن شيئا واحدا سيبقى خالدا منه هو أسلوبه الأدبي الذي دخل التاريخ مع الأساليب النثرية العربية، فكما نذكر اليوم أسلوب الجاحظ ستذكر الأجيال المقبلة دائما أسلوب "طه حسين" [2]. فلا أحد يستطيع إنكار أن طه حسين قد دعا إلى أن العقل يجب أن يحكم كما يحكم الدين، فالدين عرف بالعقل. واستطاع من خلال ذلك أن يكون مدرسة تأخذ بتعاليمه وتعتمد على آرائه، منهم من أخذ عنه مشافهة ومنهم من

([1])-حنا الفاخوري، "الجامع في تاريخ الأدب العربي". ص 337.
(2)- المرجع السابق. حنا الفاخوري:"الجامع في تاريخ الأدب العربي". ص 338.

أخذها عنه بما كان ينشره في مقالاته ومؤلفاته. كانت مدرسة واضحة المعالم، قوية الأثر، وخير دليل على ذلك، أن جل الذين تصدوا للمسائل الاجتماعية أو السياسية بعده، كانوا من تلامذته أو من معاصريه.([1])

امتاز طه حسين بشخصية فريدة من نوعها، واختلف الأدباء والنقاد وغيرهم في أمره، بين مؤيد ومعارض، وبين هذا الأخذ والرد ازدادت شهرة طه حسين وذاع صيته في عالم الأدب والنقد.

3- أساتذة "طه حسين":

أ- أساتذته المصريون:

*** أحمد زكي باشا**:

ولد سنة 1867م، وتوفي سنة 1934م درس عليه طه حسين "الحضارة الإسلامية" وهو شخصية ثقافية شغلت مصر بل العالم العربي بمآثرها وصخبها، فلا عجب أن يعجب به طه حسين وهو الأزهري الذي فرض عليه التقوقع على معارف دون غيرها، ولا نرتاب أن "أحمد زكي" العصبي هو الذي حمل على أن يقف من طه حسين الموقف البالغ الشطط، ولكن الخصام بين الأستاذ والتلميذ أثمر ودا فإن طه حسين عند مراجعته لتكوينه الثقافي يذكر "أحمد زكي" أنه من بين الذين تركوا أثرا في هذا التكوين، إذ أعانه في المران على البحث العلمي وتحقيق النصوص، إذ كان طه حسين قد سلك بعدها في حياته الفكرية منحى ثقافيا مصري التطلع، إلا أن أحمد زكي كان جذوة متقدة من الحماسة للعرب ولمجد الأمة العربية/ مما هو مأثور عن "شيخ العروبة".

***حفني ناصف:**

ولد عام 1855م وتوفي سنة 1919م. لقد بجل طه حسين "حفني ناصف" الإجلال كله، وكان يقر بما له من فضل كبير عليه، إذ كان "حي ناصف" من المؤسسين للجامعة المصرية، ومن أوائل الأساتذة الذين عملوا فيها، فقد درس طه حسين وزملائه الأدب العربي القديم، فافتتن طلابه بعلمه وطمعوا الاستزادة منه، فقد كان لا يصطنع وقار العلماء، وإنما كان يخلط نفسه بطلابه كأنه واحد منهم، فكان من نوع الأدباء الذين يمدون العلم والنصيحة لأبنائهم.

*** أحمد كمال:**

ولد سنة 1850م، وتوفي سنة 1923م، كان نابغة في دراسة اللغة وخاصة القديمة منها وكان أمين المتحف المصري ببولاق، وكان أهم مشروع هو عمله الكبير "قاموس اللغة المصرية القديمة" (22مجلدا)، وعندما قام بتدريس طه حسين كان شأن كل عالم ينضجه الزمن ويختمر العلم في صدره فكان طه حسين يصغي إلى أساتذة صاحب الخلق الوديع والواثق من علمه دونما إدعاء أو ضيق: « والفتى دهش ذاهل حين يسمع كل ذلك العلم وهو أعظم دهشة وذهولا حين يلاحظ أنه يفهمه ويسغيه في غير مشقة ولا جهد» ([2]).

*** إسماعيل رأفت:**

كان مدرسا للتاريخ والجغرافيا في مدرسة "دار العلوم"، ويلق في الجامعة دروسا في الجغرافيا وعلم الشعوب وكان إنسانا لا يبتسم البسمة ثغره أبدا، يقبل على الطلاب فيمضي درسه في قراءة الأوراق لا يقطع القراءة إلا ليضفي تفسيرا لابد منه وكان طه حسين فاهما من أستاذه ومسرورا بهذا العلم الذي يدور حول إفريقيا من حيث طبيعتها وأجناسها وتاريخها

---

(1)- أمل رشيد، "المنطلقات الاستشراقية في الرؤية النقدية لطه حسين"- تلمسان، مذكرة الماجيستير 2008 ، ص 41.

(2)- أحمد علبي، نقلا عن مذكرات "طه حسين"،ص 56.

وحضارتها ولهذا: « وقد سمع الفتى فيما بعد دروسا مختلفة في الجغرافيا من أساتذة ممتازين في جامعات فرنسا فلم يحس لأحدهم فضلا على أستاذه ذلك المصري العظيم».
ولكن أساتذة طه حسين في الجامعة المصرية لم يكونوا على سوية واحدة، فمنهم من عاد إلى مرحلة الأزهرية الآفلة التي فر منها ناجيا بعقله فهناك:

*** محمد المهدي:**

درس عليه الأدب العربي.

*** الشيخ محمد الخضري:**

كان يعطيه دروسا في التاريخ الإسلامي، وقد أخذ طه حسين بحسن إلقاء أساتذته، وكان خطيبا فأحب محاضرات "الشيخ محمد الخضري".
ومن أساتذته من يأتي على ذكر أسمائهم ليس بغية الإشادة بفضلهم وإنما لأنهم كانوا جزء من حياته الجامعية بجدها ولهوها. ومن هؤلاء:

*** الشيخ طنطاوي جوهري:**

الذي كان يدرس عليه الفلسفة الإسلامية

ب- أساتذته المستشرقين:

وقفنا على أساتذة طه حسين المصريين وينبغي أن نلتفت التفاتة خاصة إلى المستشرقين الذين درس عليهم في الجامعة المصرية، فقد تركوا في نفسه أثرا جميلا لا يمحى، وقدر لهم عملهم وفتنة مناهجهم العصرية التي وجد بعدها أننا نفعل خيرا جما لثقافتنا في اقتباسها وتطبيقها:

*** إغناطيوس جويدي (Egnazio Guidi):**

أجاد العربية بفضل اتصاله برجال الأكليروس الماروني المقيمين في روما، جاء إلى الجامعة ليدرسهم "أدبيات التاريخ والجغرافيا"، وهو شيخ طاعن في السن، وطه حسين في سماعه لمحاضرات "جويدي" إنما كان تلميذا لعالم أعتبر شيخ المستشرقين في زمنه وهو الذي أتقن زهاء عشرين لغة قديمة وحديثة، وهناك مستشرق إيطالي آخر أتى على ذكره وهو:

*** كارلو نلينو (Carlo Nallino) :**

دعته الجامعة المصرية سنة 1909م، لإلقاء دروس في "الفلك العربي" وكان هذا المستشرق عقلا لا نظير له، فبعد أن أمضى سنة في الجامعة المصرية محاضرا في علم الفلك عند العرب، وهي دروس لم يحضرها طه حسين أعقبها "كارلو" بسنتين متتاليتين درس خلالهما مادة لا تتصل بالفلك وكتب لها طه حسين مقدمة وهي: « تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بني أمية»، وقد تميز "كارلو" عن كثير من المستشرقين الذين اهتموا بالعالم العربي والإسلام أنه كان يجيد العربية كلاما([1]).

*** دافيد سنتلانا (David Santillana):**

الذي كان يكن له طه حسين تقديرا كبيرا: « وما أعرف للأستاذ نالينو نظيرا في التوجيه العميق للنهضة المصرية إلا زميله الأستاذ سنتلانا الذي أحدث في مصر نهضة خطيرة في دراسة الفلسفة الإسلامية، وفي الصلة بين هذه الفلسفة والفلسفة اليونانية القديمة» ([2])، وقد ترك أثرا عميقا في دراسة الفلسفة الإسلامية.

*** جيراردو ميلاني (Gerardo Melani) :**

---

(1)- المرجع السابق، أحمد علبي، نقلا عن مذكرات "طه حسين"، مقدمة كتاب تاريخ الآداب العربية لنالينو. ص 14.
(2)- المرجع السابق، أحمد علبي، نقلا عن مذكرات "طه حسين"،إينوليتمان، مجلة "المجلة"، س 02، ع 24 (ديسمبر 1958م) ص 11.

الذي كان يدرس طلابه "تاريخ الشرق القديم"، باللغة العربية فيفتح لهم المغاليق تاريخ بابل وأشور وقوانين حمو رابي، وكان طه حسين يصغي لأستاذه فيستسيغ مقالاته ويفهمها.

*** إينوليتمان (Enno Littmann):**

ألماني كان يدرس "اللغات السامية"، وقد احتفظ له طه حسين بأجمل الذكريات وأعذبها فيقول عندما وقف مؤبنا أستاذه "ليتمان": « كان له بالغ الأثر، لا أقول في حياتي خاصة ولكن في حياة الكثير من الشباب الذين كانوا يختلفون إلى الجامعة المصرية القديمة، وما أعرف أحد أثر في الحياة العقلية للشباب المصريين في ذلك الوقت في أوائل هذا القرن كهذين الأستاذين العظيمين اللذين كانا جميعا عضوين في هذا المجتمع: الأستاذ ليتمان والأستاذ نلينو... وكل ما نشأ في مصر من بحث في الطرائق العلمية الحديثة في الأدب واللغة، وفي الدراسات السامية بوجه عام، فإنما مرجعه إلى هذين الأستاذين قبل كل إنسان».

أما المعاهد الفرنسية التي درس فيها طه حسين، فهي:

1 - السربون:

درس فيها التاريخ القديم والتاريخ اليوناني على يد "جلوتر"، تاريخ الرومان "بلوك"، الأدب الفرنسي "لاتسون"، الفلسفة والاجتماع "دوركايم"، ديكارت "ليفي بربل"، الثورة "أولار"، التاريخ الفرنسي البيزنطي "شارل دبل"، التاريخ الحديث " سنيوس"، الجغرافيا "ديمانجون وجالو".

2- الكويج دي فرانس:

درس فيه القرآن الكريم بالعربية على كازانوفا وعلم النفس على برجنيه.

3 - مكتبة القديسة جنيفياف:

وكانت له فيها غرفة خاصة([1]).

4 -آثاره:

توفي طه حسين وترك وراءه عددا قيما من المؤلفات كان إلى زمن غير بعيد شغل العالم العربي الشاغل، وقد ترجم بعضه إلى لغات أوربية مختلفة، وتنافست دور النشر في الحصول على شيء منه، إلا أن طه حسين أراد قبيل وفاته أن يتنازل عن حقوق نشر تركته الفكرية والأدبية كلها لدار الكتاب اللبناني في بيروت، فقامت تلك الدار بنشرها كاملة في تسعة عشر مجلدا مابين 1973م و1974م.

- المجلد الأول: الأيام {ثلاثة أجزاء روي فيها الكاتب سيرة حياته الأولى}.
- المجلد الثاني: حديث الأربعاء {ثلاثة أجزاء عالج فيها الأدب والأدباء}.
- المجلد الثالث: على هامش السيرة {ثلاثة أجزاء ضمنها صورة عرضت له في أثناء قراءته للسيرة}.
- المجلد الرابع: الخلفاء الراشدون {الشيخان (أبو بكر وعمر)، الفتنة الكبرى (عثمان وعلي) علي وبنوه}.- المجلد الخامس: الأدب والنقد { 1- في الأدب الجاهلي- فصول في الأدب والنقد من حديث الشعر والنثر}.
- المجلد السادس: الأدب والنقد {2- مع المتنبي - ألوان}.
- المجلد السابع: إسلاميات {الوعد الحق - مرآة الإسلام}.
- المجلد الثامن: علم الاجتماع {فلسفة ابن خلدون الاجتماعية}.
- المجلد التاسع: علم التربية {مستقبل الثقافة في مصر - جزءان}.

---

(1)- سامح كريم، "ماذا يبقى من طه حسين"، دار القلم - ببيروت، الط 02 (1982) ص 51.

- المجلد العاشر: أبو العلاء المعري {تجديد ذكرى أبي العلاء: وهي الرسالة التي قدمه في الجامعة لنيل الدكتوراه} ([1]).1- المجلد الحادي عشر: علم الآداب { 1- نفوس للبيع - لحظات (جزءان) - جنة الشوك - خصام ونقد}.
- المجلد الثاني عشر: علم الآداب {2- أديب - أحاديث - المعذبون في الأرض}.
- المجلد الثالث عشر: القصص والروايات { 1- الحب الضائع - دعاء الكروان - شجرة البؤس}.
- المجلد الرابع عشر: القصص والروايات {2- صوت باريس (جزءان) - جنة الحيوان}.
- المجلد الخامس عشر: القصص والروايات {3- من لغو الصيف إلى جد الشتاء - بين بين - أحلام شهرزاد}.
- المجلد السادس عشر: القصص والروايات {القصر المسحور- رحلة الربيع والصيف}.
- المجلد السابع عشر: الأدب التمثيلي { 1- من الأدب التمثيلي اليوناني (سوفوكليس) - أندروماك}.
- المجلد الثامن عشر: الأدب التمثيلي { 2- القدر - أوديب ثيسبوس- قصص تمثيلية (معربة من الفرنسية)}.

هذه مجموعة طه حسين كما نشرتها دار الكتاب اللبناني، وهي كما لا يخفى مضطربة في التقسيم فلا هي جارية على النظام التوقيتي لظهور هذه المؤلفات، ولا هي واقفة بدقة على تجميد المواد.

لقد مضت السنوات آحادها وعشراتها ولازال طه حسين - رحمه الله - ملء سمع الدنيا وبصرها بسبب بعض آرائه ومواقفه. فهو واحد من أعظم الأشياء في النقد والأدب في القرن العشرين، وتلك عناوين كتبه بقايا متناثرة في مكتبات العامة والخاصة تشهد بما حققه هذا الرجل في مجال النقد والأدب، فآثاره في الأدب الجاهلي ومع المتنبي وعلى هامش السيرة، وحديث الأربعاء... لا زالت تشغل حيزا كبيرا في النشاط النقدي والفكري، وقد نتعاطف مع الرجل عندما نطالع سيرته، وقد لا نفعل غير أننا لا نستطيع في الحالتين إلا أن نتوقف طويلا لنتأمل بإعجاب تلك الأعمال التي حققها بعزمه وإيمانه رغم عاهته والظروف التي عاشها([2]).

<u>المبحث الثاني:</u> **تقديم لمؤلفاته في السير الذاتية والإسلامية**

إلى جانب النشاط الكبير في مجال الدراسة الأدبية، وإلى جانب تقديم أو ترجمة الكثير من الأعمال الأدبية الغربية التي كانت تشكل خطا موازيا لدراسة الأدب العربي القديم في منهج طه حسين لإنعاش الحياة الأدبية وتطويرها، فقد كتب الأديب الكبير عددا كبيرا من المؤلفات في أدب السير والتراجم ففي السيرة الذاتية كتب رائعة "الأيام" في ثلاث أجزاء وكتب سيرة "أديب" أو "جلال شعيب" زميله في الجامعة الأهلية وفي فرنسا، إلى جانب كتابته في السير الإسلامية وذلك من خلال كتابه الكبير "إسلاميات" الذي يضم مجموعة من السير "مرآة الإسلام، على هامش السيرة، الوعد الحق، الفتنة الكبرى، (عثمان - علي وبنوه)، الشيخان". وسنتطرق إلى هذه المواضيع من خلال الدراسة الموجزة:

1- السير الذاتية:

أ- **الأيام:** ويقع في ثلاثة أجزاء:

---

(1)- حنا الفاخوري، " الجامع في تاريخ الأدب العربي"، ص 121.

(2)- أمل رشيد: "المنطلقات الاستشراقية في الرؤية النقدية لطه حسين"، ص 24.

الجزء الأول: عبارة عن سرد أخاذ لطفولته ومنزله وبيئته، وأهله ورفاقه وأترابه، ولكثير من العادات المصرية الساذجة والحياة الكامدة التي تحياها الأسر الريفية في مصر، وقد تلقاها الأدباء والمفكرون بالترحاب لأنه تصوير رائع لحياة هذا الطفل الذي كان لا شيء كمئات الآلاف من المصريين فأصبح شيئا مذكورا.

الجزء الثاني: يمثل مرحلة هامة من مراحل حياة الدكتور طه حسين وقد لاقى اهتماما من القراء. تتمثل في انتقاله من الريف إلى القاهرة ومن الكتاب إلى الأزهر الشريف، وكيف عاش تلك الحياة الجافة المؤلمة.

الجزء الثالث: يحدثنا بصفة عامة عن المرحلة الهامة في حياته بين مصر وفرنسا، بين معهدين مختلفين: الحضارة الغربية بماديتها والحضارة الشرقية بروحانيتها([1]).

ب- أديب: أصدر طه حسين سنة 1935م كتابه "أديب" وقد كانت له مكانة خاصة حيث يقول عنه بكل صراحة: "إن الكتاب الذي أحبه وأؤثره لا يعجب الناس وهو أديب... وإعجابي به يرجع إلى أني وصفت فيه كثيرا من شؤون حياتي الخاصة".

وهو عبارة عن صورة حية طريفة، وذكريات فنية خصبة خاصة بأديب أزهري بدل العمامة طربوشا، والجبة والقفطان بدلة وربطة عنق، ونقلته الأقدار من أروقة الأزهر وأحياءه العريقة إلى باريس مدينة العلم والنور، فهل بقيت نفسه عن أزهريتها؟ أم هل كانت طلائع الثورة الفكرية تعمل في نفسه من زمن بعيد؟- وكل هذا نجد إجابته عند قراءتنا لكتاب "أديب".

والبطل الأساسي في هذا الكتاب هو الكاتب نفسه، وقد اعتقد بعض النقاد أن هذا الكتاب هو بعينه الجزء الثالث من " الأيام " قبل ظهور هذا الجزء في عام 1967م وعده آخرون الجزء الرابع بعد كتاب (الايام) وربما ينبغي ان يتضمنه هذا الجزء المشار اليه 2.

ويتشابه "أديب" مع "الأيام" في كثير من الروايات المتعلقة بالشكل الفني الذي سنتوقف عنده قليلا لنذكر بأن الكتاب يسلكون في التعبير عن خواطرهم عدة طرق لإيصال العبرة والعظة إلى القارئ ليضطر إلى قراءتها ثم التأثر بها. أما أديبنا فلا يدعي لنفسه رسالة إصلاحية ولا دعوة أخلاقية، ولا غرضا تهذيبيا في قصصه فقال: "والكتاب البارعون في الفن يؤرخون خواطر عقولهم، وعواطف قلوبهم وأحزان ضمائرهم، إلى آخر الحديث يجعلون من هذا كله عبرة لمن يريد أن يعتبر، وموعظة لمن يريد أن يتعظ. فيجعلون من أنفسهم أساتذة في الأخلاق ومصلحين لنظم الاجتماع، ويرضون عن أنفسهم بعد ذلك كل الرضا، ويجهلون أن القارئ أشد منهم مكرا وأبلغ منهم دهاء..."([2]).

بالإضافة إلى التشابه الفني بين كتابي "الأيام" و"أديب" فهناك تشابه أيضا في المضمون الاجتماعي وفي الظروف السياسية التي صاحبت ظهورهما. حيث يتناول الجزء الأول من "الأيام" طفولة إنسان مثقف، وهو الكاتب نفسه خلال سنوات (1900م- 1908م) بينما يتناول الجزء الثاني مرحلة الشباب لمجموعة من رجال العلم والمعرفة والمواقف الاجتماعية والسياسية، خلال الفترة الممتدة من (1907م- 1914م) ... في حين يتناول أديب مرحلة

---

(1)- سامح كريم، " ماذا يبقى من طه حسين"، ص 122.

(2)- حسان نصار، " دراسات حول طه حسين" دار اقرأ للنشر بيروت ط 02 (1981)، ص 73 - 74.

زمنية تدور رحاها خلال الحرب العالمية الأولى (1914م- 1918م) وذلك حول شخصية "أديب" تطحنه الأماني المعقولة وغير المعقولة([1])

ومن هنا يمكننا القول أن لشخصية "أديب" أصولا في حياة طه حسين نفسه، وأنه لم يخلقها خلقا جديدا وربما يؤكد هذا الرأي ما يلمسه القارئ لهذه الرواية في أن السمات التي يطلبها هي نفس سمات روح "طه حسين".

فأديبنا يرسم صراعا مع نفسه ذلك الصراع بين ما يريد أن يكون وما يستطيع أن يكون فيها أيضا. يدور الصراع بين آمال الإنسان ومكانته، بين طموحه ونزعات نفسه، ثم هو يهديها إلى صديقه الذي كان أول المعزين له حين أخرجه الظلم من الجامعة، وأول المهنئين حين أعاده العدل إليها([2]).

2- أدب السير الإسلامية:

أ- على هامش السيرة:

هو الكتاب الذي بدأ به طه حسين حين شرع في كتابته للتاريخ الإسلامي، فمن خلاله نعايش شخصيات هذا الكتاب في حياتهم اليومية، تطرح آمالهم نفسها علينا، وتدخل همومهم اليومية قلوبنا فإذا بنا أعضاء في هذه الأسرة، وفي ذلك الزمن البعيد وكأننا نعايشه اليوم بكل تفصيلاته، أو إذا بنا قد رحلنا إليهم في الزمان، وقد عجزنا أن نرحل إليهم في المكان كما يقول أديبنا في غير مجال([3]).

ويشمل هذا الكتاب ثلاثة أجزاء وقد ألفه طه حسين في فترة مبكرة من حياته عام 1933م. وتدور أحداثه ما بين اليونان والشام والعراق، فارس واليمن والجزيرة العربية ومصر والحبشة ومعها يمضي ميلاد عظيم ويتأهب إلى العالم ويسعى لرؤيته واستقباله والخلاص على يديه([4])، فيصور لنا كيف انتظرت السماء واستعدت الأرض لذلك الحدث العظيم. ولكن الناس كانوا يروحون ويجيئون في حياتهم على وجه عادي لولا هذه الأصوات التي كانوا يحسونها من حولهم عبد المطلب الجد وهاتفه أن "يحفر زمزم" أو أن يقدم قربانا وراهب الإسكندرية ورحلة الصحراء، وغيرها من الهواتف والرؤى والأحلام متداخلة في الحياة اليومية العادية كما تدخل الأحلام ألا متناهية. أليست آمنة بنت وهب كأية امرأة تحمل جنينا عرضة للرؤى والأحلام والأصوات التي تسمعها بين اليقظة والنوم يؤهلها لهذا ضعف بدني معين، وشعور عميق لا قرار له بالحياة في سيرها العام وتجددها بالميلاد والموت تجددا لا يتوقف أبدا. والأهم من هذا أنه يشعرنا بالذوبان في الوجود فإذا نحن من التراث وسوف وسوف ترى شبانا مسيحيين يخرجون من بلادهم بحثا عن الدين الجديد فيما حولهم من بلاد وثقافات ومنها هذه البلاد الصحراوية البعيدة، فيصل بعضهم ويموت آخرون دون الغاية، وستجد مثلهم شبانا عربا وثنيين يخرجون من بلدهم إلى الشام وبيزنطة من أجل هذه الغاية نفسها فيصبح بعضهم نصارى بيزنطيين ويعود بعضهم إلى الوطن يبشرون بشيء من المسيحية حتى يقدر لهم أن يشهدوا الحق في ميلاده العظيم ([5]). الذي سبقته أحداث مختلفة لعل أهمها محاولة أبرهة الحبشي هدم الكعبة، وهناك يرى ما لم يكن يتصور، يرى الطير

---

(1)- عبد السلام محمد الشاذلي،"شخصية المثقف في الرواية العربية الحديثة". دار الحداثة بيروت ط 01 (1985م) نقلا عن سهيل القلماوي "ذكرى طه حسين"، دار المعارف بمصر اقرأ (دط) (1974م) ص 161.

(2)- سامح كريم " ماذا يبقى من طه حسين"، ص 126.

(3)- سهيل القلماوي، "ذكرى طه حسين". ص 109.

(4)- سامح كريم، " ماذا يبقى من طه حسين"، ص 134.

(5)- سهيل القلماوي، "ذكرى طه حسين". ص 109- 110.

أبابيل وهي تمطر الجيش بحجارة من سجيل فتجعله كعصف مأكول... وأن صاحب الرسالة التي ينتظرها العالم قد ولد في نفس العام "عام الفيل" وسوف نستمتع إلى حديث "البناء" القبطي الذي شارك في البناء نفسه حين وضع بيه الحجر الأسود في مكانه بالكعبة كما سنرى ونسمع كثيرين ممن عاصروا ميلاد الحق العظيم أو جاؤوا قبله أو بعده بقليل وسنرى النبي الكريم منذ أن كان يتيما تعطف عليه أكرم الحواضن إلى أن كان راعيا للغنم، إلى أن صدع بأمر الدعوة الإسلامية فلقي فيها عداوة المعادين وحسد الحاسدين، وسوف ترى كيف يدعوهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى كلمة الحق ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، وحين يقدم المجتمع العربي القديم في الحجاز قبيل الدعوة المحمدية وفي أثنائها، والصراع بين الحق والباطل وبين الحرب والفساد حتى يتم على يدي صاحب السيرة النصر ودخول الناس في دين الله أفواجا.

والدكتور طه حسين يروي لنا كل ذلك في أحاديث منفصلة بتباعد المدن والسنوات حتى تتجمع في النهاية خيوط أحاديثه وشخصياته في مكة أو في يثرب أو في غيرها من المدن والبلاد التي شهدت ظهور الرسالة الجديدة أو كان لها شأن في تاريخها([1]).

ب- الوعد الحق:

نشره سنة 1950م، يحدثنا فيه عن بعض المتقدمين في الإسلام الذين قامت الدعوة الإسلامية على أكتافهم، وهؤلاء المستضعفين في الأرض الذين أشعرهم الإسلام بكيانهم الإنساني الكريم...

الإسلام الذي وعد بألا يقيم السدود بين الأحرار والعبيد، ولم يفرق بين الناس لشرف مولد أو لجاه منبت، وإنما ميز بين النفوس بما قدمت من خير أو عملت من شر،

هؤلاء الرجال الذين وعدهم الله ذلك الوعد الحق: "عمار بن ياسر" و"بلال بن رباح"، "صهيب بن سنان".

والكتاب يعرض لنا بشيء من الاعتزاز كيف أن الإسلام يقدر رجاله سواء كانوا عربا أو غير عرب، فهاهو ذا "صهيب الرومي" إماما للمسلمين يصلي وراءه الجميع ممن كانوا أرقاء أو سادة قدماء بعد أن سوى الإسلام بين الجميع.

ويصبح عبد الله بن مسعود أمينا لبيت مال المسلمين في الكوفة، ويخرج بلال للجهاد في عهد "أبي بكر" وبقيم في دمشق حتى يلقي ربه. ويصبح "عمار بن ياسر" أميرا للكوفة، ثم يعود إلى المدينة حتى تقتله الفئة الباغية.

ج- مرآة الإسلام:

صدر سنة 1959م، يقدم لنا صورة مؤداها أن الإسلام كان ولا يزال دين الحنفية السمحة والفطرة السليمة، أتى به الرسول صلى الله عليه وسلم من عند الله تعالى ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ولهذا الدين أصول أولها القرآن الكريم، والثاني الحديث الشريف، وهناك علاقة بينهما يحددها قول "طه حسين" في "مرآة الإسلام" وهي أن القرآن يذكر الركوع والسجود ولكنه لا يحدد الركوع والسجود في القرآن تحديدا دقيقا فليس بد للنبي صلى الله عليه وسلم من بيان ذلك كله، بالعمل والقول جميعا، فهو يقيم الصلاة للمسلمين ويأمرهم أن يصنعوا صنيعه، وأن يقوموا حين يقوم ويركعوا ويسجدوا ويجلسوا، حين يركع ويسجد ويجلس وهو يعلمهم ما يقرؤون في صلاتهم وما يقولون في السجود والركوع والجلوس وقل مثل ذلك في مجملات القرآن كلها وهي كثيرة وكان النبي عليه الصلاة والسلام إذا مفسرا

---

(1)- سامح كريم، " ماذا يبقى من طه حسين"، ص 134- 135.

للقرآن بقوله وعمله، وكان منبئا للناس بما يلقي الله في قلبه من العلم بما ينبغي لهم وما يجب عليهم وما يجب أن ينتهوا عنه...
وعلى هذا الأساس الذي وصفه طه حسين وجب دراسة القرآن والسنة باعتبارهما مصدرين من مصادر الدين الإسلامي والقرآن يتحدث للناس عن أشياء لم يتحدث إليهم بها أحد من قبله: يتحدث عن الوحيد فيحمده وعن الشكر فيقدسه، وعن الله فيعظمه، ويدعوا الناس إلى عبادة الله الواحد القهار.
والأصل الثاني هو السنة وهي كل ما ثبت في سنة محمد صلى الله عليه وسلم قولا وعملا يعتبر خلاصة تبشيره وإنذاره وشهادته ودعوته إلى الله.
والدكتور طه حسين يوضح الفرق بين أحكام القرآن والسنة فلكل قواعده وتشريعاته على أن القرآن في نصه باق على الدهر لا يضره أن يختلف المسلمون في فهم نصوصه وتأويلها، وأما الحديث فقد كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يتشددون في رواية الحديث عن النبي بل كانوا لا يقبلون حديثا عنه إلا بعد أن يشهد اثنان من المسلمين بأنهما سمعاه أو شهداه([1]).

د- الشيخان:

كتبه طه حسين سنة 1960م، يصور لنا فيه شخصية أبي بكر كما تصورها الأحداث حيث يكون هو المسؤول بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وعرف كيف يرد الصادقين من المؤمنين إلى أنفسهم حين تلا عليهم قوله تعالى في سورة آل عمران (الآية 144): « **وما مُحمّد إلاّ رسُول" قدْ خلتْ منْ قبْله الرُسلُ أفإنْ مات أوْ قُتل انقلبتُمْ على عقبيْه فلنْ يضُر الله** شيْئا وسيجْزي اللهُ الشاكرين»، وقوله تعالى في سورة الزمر (الآية 30): « **إنّك ميّت" وإنّهمْ ميّتُون**».
ويحدثنا عن عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه - قبل إسلامه وبعده كما يرسم لنا صورته فيقول:" لم يعرف المسلمون خليفة أو ملكا بعد عمر جعل بيت المال ملكا للمسلمين ينفق منف على الجيوش للمحاربة ويعين منه من احتجاج إلى المعونة ويوفر ما تبقى منه ليشيعه بين المسلمين، رجالهم ونسائهم وأطفالهم، يأخذون منه أعطياتهم في كل عام تسعى إليه هذه الأعطيات...وقد رأيت أنه كان يحمل في عام الرمادة الطعام على ظهره ويسعى به إلى الأعراب النازلين حول المدينة...".
والدكتور طه حسين في تقديمه للشيخين شاء تقديم شيء جديدا لم يسبقه إليه أحد وهو بيان الجوانب والمميزات لهاتين الشخصيتين كما تصرها سيرتهما والأحداث التي وقعت في أيامهما، ويعرض أسلوبهما في سياسة الحكم وتدبير شؤون الدولة، ثم يستخلص منهما واضحة قوية تدعو إلى الإعجاب.

هـ- الفتنة الكبرى:

أصدر طه حسين الجزء الأول من الكتاب سنة 1947م، وقد تصدى للحديث فيه عن أول فتنة في الإسلام تلك التي انقسمت الدولة الفلسطينية بعدها، وذلك لعلمه بأهمية هذه الفترة في التاريخ الإسلامي التي تلت مقتل عثمان بن عفان، حيث أحدث ذلك صدعا في جسم الأمة الإسلامية، فيصور لنا عميد الأدب العربي موقف المسلمين غداة تولية علي بن أبي طالب الخلافة وما أحدث من صدع وانقسام للإمبراطورية الإسلامية.

---

(1)- المرجع السابق، سامح كريم، " ماذا يبقى من طه حسين"، ص 141.

وتمر الأحداث حادة مثيرة والخلافات مستمرة بين علي ومعاوية، وتكون النهاية الحزينة بمقتل رابع الخلفاء الراشدين، ونهاية سنة الخلافة الراشدة وبداية الخلافة الأموية التي لم تتحول عنهم في يسر ولين لأن الفتنة لم تنقض بموت يزيد.
وقد أصبح للمسلمين مثل بعينه من المثل الكثيرة التي دعا إليها الإسلام، ألا وهو العدل التي قطعت من أجله أعناق المسلمين حتى استيأس من قربة بعض الشيعة ولم يستيئسوا من وقوعه فاعتقدوا أن إماما من أئمتهم سيأتي في يوم من الأيام يملأ الأرض عدلا بعدما ملئت جورا([1]).
وبعد هذه الإطلالة الموجزة لأهم ما ألفه عميد الأدب العربي طه حسين في مجال أدب السير ونظرا لأهمية هذا الأدب الذي يتميز به أديبنا سنتطرق إلى دراسة كتاب "الأيام" في مجال السيرة الذاتية والذي أخذ شهرة واسعة في نتاج الأدب العربي الحديث، وسنتناولها ببعض من التفصيل لنكشف عما يتضمنانه.

المبحث الثالث : دوافع تأليفه في السيرة ومنهجه فيها:

أ- الدوافع:

كان الدافع الأول لطه حسين من كتاباته للسيرة هو تنقية المادة الإسلامية مما يتداخل معها من العلوم والفنون وتبسيطها بالقدر الذي لا يفقدها معناها، وتسهيل وصولها إلى متناول الأيدي بدلا من خزنها في المكتبات، أو بصفة مختصرة نقول أنه قصده من خلال كتابته لهذا الفن هو عرض أجزاء من تراث العرب الأدبي القديم بأسلوب يبعث الحياة ويجعله مستساغا للقراء. يقول طه حسين: "هذه صحف لم تكتب للعلماء والمؤرخين، لأني لم أرد بع إلى العلم، ولم أقصد بها إلى التاريخ، وإنما هي صور عرضت لي أثناء قراءتي السيرة فأثبتها مسرعا ثم لم أر في نشرها بأسا. ولعلي رأيت في نشرها شيئا من الخير، فهي ترد على الناس أطرافا من الأدب القديم قد أفلتت منهم وامتنعت عليهم، فليس يقرؤها أولئك الذين أتيحت لهم ثقافة واسعة عميقة في الأدب العربي القديم"([2]).
فالغرض إذن من كتابة طه حسين للسيرة هو تقريبها من الناس من خلال الأسلوب المبسط فهو لا يشك لحظة في قيمة ما يستقدمه من عمل بعد اكتشافه أن الذين يقرؤون السيرة من القلة. يقول الدكتور طه حسين: "إنما يقرأ الناس اليوم ما يكتب لهم المعاصرون في الأدب الحديث بلغتهم أو بلغة أجنبية من هذه اللغات المنتشرة في الشرق، يجدون في قراءة هذا الأدب من اليسر والسهولة ومن اللذة والإمتاع ما يغريهم به ويرغبهم فيه"([3]).
ولعل أهم هدف قصده طه حسين هو تقريب الكتب القديمة إلى نفوس الشباب، ليحسوا هذه الحياة العربية من منابعها الأولى. فلكم أجهد نفسه في سبيل أن يقرب تراثنا القديم الخالد إلى القارئ الحديث، وأن يلقي في نفوس الشباب أن القديم لا ينبغي أن يهجر لأنه قديم، أن الجديد لا ينبغي أن يطلب لأنه جديد. يقول طه حسين: " ثم إن استطاع هذا الكتاب أن يلقي في نفوس الشباب أن القديم لا ينبغي أن يهجر لأنه قديم، وأن الجديد لا ينبغي أن يطلب لأنه جديد، وإنما

---

(1)- المرجع السابق، سامح كريم، " ماذا يبقى من طه حسين"، ص 138 - 139.
(2)- حمدي سكوت: "أعلام الأدب المعاصر في مصر"، الناشرون مركز الدراسات العربية بالجامعة الأمريكية دار الكتاب المصري القاهرة ودار الكتاب اللبناني ط 02 (1402هـ - 1982م) ص 73 نقلا عن طه حسين " على هامش السيرة" مجلد 10، (دط)، المقدمة ص 01.
(3)- سامح كريم، " ماذا يبقى من طه حسين"، نقلا عن طه حسين "إسلاميات"، منشورات دار الآداب - بيروت ط 01 شباط (1967م) ص 173.

يهجر القديم إذا برئ من النفع وخلا من الفائدة، فإن كان نافعا مفيدا فليس أقل حاجة إليه منهم. فأنا سعيد موفق لبعض ما أريد"([1]).

كما أنه اعتقد أن تقريب الناس إلى فهم تاريخهم الإسلامي يعد إحياء منه للأدب القديم، حيث أن هذا الأخير يكفل للناس قدرة على الوحي والإلهام، ونفس الشيء في السيرة فقد ألهمت الكتاب والشعراء في أكثر العصور الإسلامية، فصورها صورا مختلفة متفاوتة. وهو لذلك يمهد لاستخدام الخيال في سرده بعض الأحداث راجيا ألا يتضايق بعض دعاة العقل فنجده يقول: "وأنا أعلن أن قوما سيضيقون بهذا الكتاب، لأنهم محدثون يكبرون العقل، ولا يثقون إلا به، هؤلاء سيضيقون بهذا الكتاب بعض الشيء لأنهم سيقرؤون فيه طائفة من الأخبار والأحاديث التي نصبوا أنفسهم لحربها ومحوها من نفوس الناس، وأحب أن يعلم هؤلاء أن العقل ليس كل شيء... وفرق عظيم بين من يتحدث إلى القلب والشعور على أنها مثيرة لعواطف الخير، صارفة عن بواعث الشر، معينة على إنفاق الوقت، واحتمال أثقال الحياة وتكاليف العيش"

وإلى جانب كتابات طه حسين الإسلامية فقد ألف في مجال "السيرة الذاتية" وكان وراء ذلك دوافع لعل أغلب أدباء السيرة الذاتية اشتركوا فيها فساعة يلقي المسافر عصا ترحاله، بعد أن جاب عوالم الآخرين، وجاب خلال الأقطار وتأمل في الكون، يطيب له أن يخلد إل ذاته سأما من العالم، أو أنسا بمرافئ نفسه واطمئنانا إلى دفء دخيلته، وأن يغزل على نول ذاته خيوط حياته، وما أضاف إليه الآخرون والطبيعة. لذا فالسيرة الذاتية نوع من الأدب الحميم الذي هو أشد لصوقا بالإنسان من أية تجربة أخرى بعينها، إذ أن خطوطها خيوط ينسجها من نول شخصيته، وجداول تنبع من قراراته ([2]). ولعل الهدف الأسمى لأديبنا من الكتابة في فن السيرة الذاتية هو إنعاش الحياة الأدبية وتطويرها، والنهوض بالأوضاع الأدبية في مصر، حيث كتب طه حسين سيرته الذاتية "الأيام" في ثلاثة أجزاء وسيرة "أديب". كما أنه أراد من خلالهما نقلا إلى حضارتين مختلفتين، الحضارة الغربية بمادياتها والحضارة الشرقية بروحانيتها، وأثر كل منهما في حياته([3]).

ب - المنهج:

إن جميع الذين بحثوا في الإسلام وأعلامه وأمجاده إنما كانوا يصدرون عن نفس علمي جديد على الدراسات الإسلامية. لم يتخلوا عن عقلانيتهم، ولم تكن أعمالهم شأن الدراسات التقليدية التجميعية الرتيبة. إن المدقق فيها يجد أنهم في مسعاهم كانوا يؤكدون الشخصية الوطنية في مقوماتها التأسيسية. وذلك عبر فهم متأورب للأحداث والشخصيات لم يدعوا التراث تركة تحتكرها السلفية وتبرزها وفق مفهومها للدين والتاريخ وإنما شاءوا تسليط أفكارهم العقلانية الحرة على هذه المنطقة المحرمة المحتكرة ومن هؤلاء نذكر طه حسين في كتابه "على هامش السيرة"، وتوفيق الحكيم في مسرحيته "محمد الرسول البشر"، و"عبقريات" عباس محمود العقاد([4]).

إن في كثير من موضوعات السيرة يشيع لون درامي طبيعي، مما يجعلها مادة خصبة للقصص الفولكلوري والعروض الشعبية المختلفة. وقد نسج طه حسين حول بعضها سلسلة

---

(1)- المرجع نفسه، سامح كريم ص 133 عن طه حسين "إسلاميات" ص 176.

(2)- علي شلق: "النشر العربي في نماذجه وتطوره لعصري النهضة والحديث" دار القلم بيروت ط 02 (1974م) ص 324.

(3)- حمدي سكوت: "أعلام الأدب المعاصر في مصر"، ص 56.

(4)- أحمد علبي "طه حسين رجل وفكر وعصر"، ص 477.

من القصص كتبت بأسلوب ناجح أطلق فيه المؤلف لخياله العنان. وكما يعترف هو نفسه فإنه لم يتمسك بالنصوص إلا في المسائل التي تتعلق بالرسول صلى الله عليه وسلم أو بالإسلام مباشرة.

ومن نواح كثيرة يشكل "على هاش السيرة" مع كل من "مرآة الإسلام" و"الوعد الحق" ما يطلق عليه مورينو "أسطورة ذهبية للإسلام" إذا ما فهمنا الأسطورة بمعناها الأصلي، أي على أنها عمل يتميز بالإفادة والمتعة الفنية. ولكننا كيفما صنفنا هذه الأعمال فإنها ستظل نطاق التاريخ. والواقع أنه ليس لأديبنا في ميدان التاريخ الحق إلا كتاباه "الفتنة الكبرى" و"الشيخان" وحتى هذا الأخير فإنه الأقرب لطبيعة التراجم التاريخية منه إلى التاريخ الحقيقي([1]).

كما تمتاز طبيعة طه حسين بالغوص الواعي الدقيق الطلعة في قاع ما يريد تحليله، أو وصفه في سرعة وبلمسات ريشة ضخمة سريعة قادرة معالم الصورة، لتوحي لنا ما يريدها هو أن توحي به، لا ما تريد هي أن توحي به. لذلك استطاع بأسلوبه أن يتلاءم أكثر مع شكل كالمذكرات أو الأيام وأن يحس الكثير من الصعوبة في معالجته شكل الرواية ([2]) .

وهو كفنان مؤرخ له مقياس يقف بتاريخ الأدب ودراساته بين العلم والفن، بحيث لا يغرق مؤرخ الأدب في العلم إغراقا من شأنه أن يصيب بحوثه التاريخية الأدبية بالجفاف. بحيث لا يغرق في الفن إغراقا من شأنه أن يغني الشخصيات في ذاته وشخصيته. بل هو يتخذ في تناوله المادة الإسلامية طريقا وسطا بين العلم والفن، بين التاريخ والأدب... طريقا تتفق فيه علوم اللغة والصرف والنحو والبيان والتاريخ ومناهج البحث الأدبي في استكشاف الظواهر وحقائق النصوص الأدبية. مع ما ينبغي له من الحس الدقيق المرهف، والذوق المهذب المصفى، بحيث تتجلى شخصيته فيما ينشر من أحكام وآراء، وفيما يصور من مواطن الجمال الفني في الآثار الأدبية والتاريخية المختلفة.

وعلى هذا الأساس وضع الدكتور طه حسين لنفسه ومدرسته التي أخذ طلابها ينشئن على مثاله، الأصول التي ينبغي أن تبد عليها دراساتهم وهي أصول ترد إلى جانبين:

1- جانب علمي يتصل بفحص المادة التاريخية وتحقيقها واستنباط دلالتها من دقة التفسير والتعليل والتحليل، ومعرفة الظروف التي أحاطت بها والمؤثرات المختلفة التي أثرت في منشأها وبان الصلات بينهم وبين محيطهم وبيئاتهم وعصورهم.

2- جانب فني يتصل بنقد هذه المادة التاريخية وتصوير شخصيات أصحابها، وما تحدث في نفس قارئيها من لذة. وهو الجانب الذي يحيل التاريخ إلى عمل أدبي ممتع يمس العقل والشعور إذ نرى من خلاله خصائص المؤرخ التسجيلي فشخصيته كأديب تبدو من خلال كتابته للتاريخ حين ينفث فيه من روحه ونظرته وفكرته، ويحمله بأسلوبه، ويلتقطه بجوانب يطويها سرد المؤرخ التسجيلي. وإلى جانب فحص المادة التاريخية ثم نقدها تبدأ عملية صياغتها من جديد وهو حين يقوم بصياغة مادته يستخدم المنهج الاجتماعي، خاصة إذا كانت هذه المادة التاريخية حول أشخاص([3]). كما نستطيع الاستدلال على منهج عميد الأدب العربي من عبارته هذه التي كانت ضمن ما كتبه لتقييم "قادة الفكر" فهو يقول:"الفرد ظاهرة اجتماعية، وليس من البحث القيم العلمي، فهي سيء أن تجعل الفرد كل شيء وتمحوا

---

(1)- حمدي سكوت: "أعلام الأدب المعاصر في مصر"، ص 73 .

(2)- سهير القلماوي " ذكرى طه حسين" ص 137.

(3)- سامح كريم، " ماذا يبقى من طه حسين"، ص 131.

الجماعة التي أنشأته وكونته محوا إنما السبيل أن تقدر الجماعة وأن تقدر الفرد، وأن تجتهد ما استطاعت في تحديد الصلة بينهما وفي تعيين ما تطلبه من أثر في الآداب والآراء الفلسفية والنظم الاجتماعية والسياسية المختلفة...".

بهذا المنهج الذي بشر به طه حسين عام 1925م، درس الآداب العربية وأعاد تقييمه من جديد، ودرس المجتمع الإسلامي ورجاله. فقدم لنا "على هامش السيرة" في ثلاثة أجزاء، "الفتنة الكبرى" في جزأين، "الشيخان"، "الوعد الحق"، "مرآة الإسلام".

وإلى جانب ما أسلفنا ذكره من منهجية كتابة أديبنا طه حسين لأدب السير والتراجم نجدها أتت في حلة أدبية جميلة كتبها وفق مجموعة من الشروط التي التزم بها، خاصة في السير الذاتية ككتابه "الأيام" وهي كما يلي:

- تسلسل زمني معتمد على المصادر المتوفرة لديه.
- إيراد الأحداث ونقدها بعرضها على المنطق.
- الاستناد على حجج متينة وربط تصرفات أشخاص السيرة بمحيطه الاجتماعي والسياسي والديني لاستنتاج التأثر والتأثير.
- الاعتماد على النمط القصصي الذي يغلب عليه أسلوب السرد، والذي يتخلله في بعض الأحيان الحوار الموجز.
- تحتوي الموضوعية، وتغليب العقل على العاطفة، والتقيد الصارم بالحقيقة لا الخيال والأسطورة.
- وفي كثير من الأحيان يستعين كاتب السيرة بدراسات العلوم الإنسانية، لتفسير المواقف وتسويغ السلوك.([1])

وكل ما يسعنا قوله في نهاية هذا الفصل المعنون ب "حياة طه حسين وأدبه" هو أنه على الرغم من الإعاقة التي كان يعيشها أديبنا والمتمثلة في داء "العمى" إضافة إلى الظروف الاجتماعية الصعبة جراء ما مر به في حياته الشخصية والتعليمية إلا أنه تحدى ذلك كله وثابر، فحقق ما لم يستطع الكثير من الأدباء تحقيقه في حياتهم الأدبية. فقد كتب عدة مؤلفات في أغراض عديدة، كما أنه تولى مناصب كبيرة وهامة يطمح إليها أي شخص، وكان له دور فعال في العالم العربي.

لقد كان من الأدباء الذين ساهموا مساهمة فعالة في نهضة تاريخ الأدب العربي الحديث وتطوره كما يكفيه فخرا بتلقيبه ب "عميد الأدب العربي" والاعتقاد الكبير أنه قد استحق هذا اللقب لأنه حقيقة أديب فريد من نوعه قلما يوجد في عصرنا هذا وبالرغم من الانتقادات اللاذعة التي وجهت له من خلال أعماله الأدبية المتنوعة إلا أنه واصل مشواره في تأليف الكتب، وقد احتلت مؤلفاته المراتب العليا في الأدب العربي الحديث خاصة رائعة **"الأيام"** التي تعد من أشهر السير الذاتية في الأدب العربي الحديث والمعاصر.

---

(1)- أحمد عزوز، "مواضيع مختارة في الأدب العربي" ص 80.

الفصل الثاني

أنموذج من أدب السير الذاتية و خصائصها

المبـــــحـــث الأول

تقديـــــم عام للكتاب

- ملخص حول الكتاب

المبـــــحـــث الثاني

أبعاد الكتاب و مآخذه

- الأبعاد
- المآخذ

المبـــــحـــث الثالث

الخصائص الأسلوبية و الفنية

إن دراسات السير تفيدنا فائدة جليلة في الأدب، فحين يستشار اهتمامنا بكتابة أي مؤلف كبير ستزداد رغبتنا في أن نعرف شيئا عن الرجل نفسه، وسنكون مشتاقين لان نراه في الأوساط الاجتماعية التي يعيش فيها و في علاقته اليومية مع رفقائه، وفي أن نعرف أهم العوامل في تاريخه الخارجي وفي آماله وجهاده و نجاحه وإخفائه والصلة بين كتبه و هذه البيئة الداخلية والخارجية، والتي كتب المؤلف فيها وعنها .

وفي دراستنا للأديب دراسة جيدة يخيل لنا أننا نرسم صورة واضحة له تلقي ضوءا كبيرا على أدبه هدا فضلا على أن سيرة الأديب في حد ذاته لذيذة([1]).

و قد يسلك الكاتب عند رسم الخطوط عن شخصه طريقة العرض الإخباري أو ما يسمى بالأسلوب التلغرافي لمجرد تسجيل حوادث عمره، وقد ينهج طريقة الحكاية ثم تحليل والبواعث الغوص في أعماق الوجدان والذات وذلك ما اتسمت به كتابة طه حسين([2].)

وقد كثر هدا النوع الأدبي و المتمثل في السيرة الذاتية كثرة ملحوظة في أدبنا المعاصر وسنتناول في هذا الفصل دراسة السيرة الذاتية من خلال كتاب **''الأيام''** لأديبنا طه حسين.

الفصل الثانـــــي : أنموذج في أدب السير الذاتية و خصائصها كتاب –الأيام-

<u>المبحث الاول</u> : تقديم عام للكتاب:

لقد اهتم عدد غير قليل من الأدباء العرب بكتابة سيرتهم الذاتية، و التي ظهرت جليا من خلال مؤلفاتهم التي كتبوها سواء في الأدب القديم أو الأدب المعاصر، و لقد كان طه حسين من الأدباء الدين ساهموا في تطوير هدا النوع الأدبي و تميز به، حيث قدم لنا سيرته الذاتية "الأيام" التي حظيت باهتمام واسع في أوساط الأدب العربي الحد يتكون كتاب "الأيام" من ثلاث أجزاء وصدور هذه الأجزاء كان متفرقا تفصل بين الواحد والأخر مدة زمنية قد تطول و تقصر، صدر الأول سنة 1929م، و الثاني سنة 1939م أما الثالث فقد تأخر في الظهور حتى سنة 1967 استهل أديبنا جزأه الأول من كتاب "الأيام" يصف لنا كيف كان يحس الزمن، فنشعر من الوصف أنه لا يكاد يرى شيئا([3])يقول:"لا يذكر لهذا الوقت اسما، ولا يستطيع أن يضعه حيث وضعه الله من الشهر والسنة، بل لا يستطيع أن يذكر من هذا اليوم وقتا بعينه، وإنما يقرب ذلك تقريبا وأكبر ظنه أن هذا الوقت كان يقع في فجره أو عشائه، يرجح ذلك لأنه يذكر أن وجهه تلقى في ذلك الوقت هواء فيه شيء من البرد الخفيف الذي لم تذهب به حرارة الشمس. ويرجح ذلك لأنه على جهله حقيقة النور والظلمة تغشى بعض حواشيه.."([4])

أما مدار هذا الجزء فهو حول سن الطفولة وما جرى فيها من أحداث، فيذكر البيت الصعيدي الذي نشأ فيه، والسياج الذي كان يحول من انطلاقه، والمزرعة التي كانت تنبسط من وراءه... وأنه سابع ثلاثة عشر من أبناء أبيه، وأنه أحس أن إخوانه يستطيعون مالا يستطيع([5])، وهذا ما جاء في قوله : " فقد أحس أن لغيره من الناس عليه فضلا وأن إخوته وأخواته يستطيعون مالا يستطيع، وينهضون من الأمر لما لا ينهض له، وأحس أن أمه تأذن لإخوته وأخواته في أشياء تحظرها عليه، وكان ذلك يحفظه ولكن لم تلبث هذه الحفيظة أن استحالت إلى حزن صامت عميق، ذلك أنه سمع إخوته يصفون مالا علم له به،فعلم أنّهم

---

(1) - أحمد أمين "النقد الأدبي" ملتزمة الطبع والنشر مصر ط4 (1972م) ص96

(2)- علي شلق "النثر العربي في نماذجه وتطوره العصري النهضة والحديث" ص325

(3)- سهير القلماوي نقلا عن "الأيام" ج01 ص 01

(4)- سالم المعوش"صورة الغرب في الرواية العربية" مؤسسة الرحاب الحديثة بيروت ط01 1998م ص378

5- حنا الفاخوري"الجامع في تاريخ الأدب العربي" ص360

يرون مالا يرى"([1])
فمن خلال قوله هذا فهو يصرف ما كان يشعر بسبب هذه الآفة كيف عرف أنه أعمى، وكيف أحس هذا، ومكانه من الأسرة والمعاملة الخاصة من أمه، واحتياط الإخوة في تعاملهم معه، بل الإهمال والغلطة من أمه أحيانا([2]).

وقد توغل أديبنا في أعماق نفسه ليظهر لنا أثر العمى فيها وفي شتى تصرفاته وأحواله الحياتية، كما أسرف في وصف حاله مع المجتمع الذي يعيش فيه ثم ينقلنا إلى الكتاب و"سيده" فيغرق في الكلام على حال طلابه المزرية وحال شيخه المزرية([3]).

ومن طريف أحاديثه عن شيخه وطلابه قوله: "ويرى طه حسين نفسه في منحى يوم جالسا على الأرض بين يدي "سيدنا" ومن حوله طائفة من النعال كان يعبث ببعضها، وهو يذكر ما كان قد الصق بها من الرقع، وكان سيدنا جالسا على دكة من الخشب صغيرة، وكان سيدنا لا يعفي نعيله إلا إذا لم يجد من ذلك بدا، وكان يرقعها من اليمين ومن الشمال ومن فوق ومن تحت، وكان إذا أخلت به إحدى نعليه دعا أحد صبيان الكتاب وأخذ النعل بيده وقال له: تذهب إلى "الحزين" وهو هنا قريب فتقول له: يقول لك سيدنا إن هذه النعل في حاجة إلى لوزة من الناحية اليمنى... فيقول لك " الحزين": نعم سأضع هذه اللوزة فتقول له: ويقول لك سيدنا إنه عميلك منذ زمن طويل، فاستوص بالأجر + خيرا، ومهما يقل لك فلا تقبل منه أكثر من قرش، ثم عد إلي مسافة ما أغمض عيني ثم أفتحها، وينطلق الصبي ويلهو عنه"سيدنا" ثم يعود وقد أغمض "سيدنا" عينيه وفتحهما مرة ومرة و مرات .

ثم ينطلق راويا واصفا، ويخبرنا أنه حفظ القرءان الكريم في التاسعة من عمره، وأنه وجد في ذلك عنتا أمام أبيه وشيخه من جراء ما كان ينتابه من النسيان وهذا ما نجده في قوله:"...

قال له أبوه: ماذا تلوت اليوم من القرءان؟ فيجيب: ختمت وتلوت الأجزاء الستة الأخيرة. قال الشيخ: ومازلت تحفظه حفظا جيدا؟ قال نعم، قال الشيخ: فاقرأ لي سورة سبأ. وكان صاحبنا قد نسي سورة سبأ، كما نسي غيرها من الصور، فلم يفتح الله عليه بحرف. قال الشيخ: فاقرأ سورة فاطر، فلم يفتح عليه الله بحرف... فقرا سورة يس، ففتح الله عليه بالآيات الأولى من السورة، ولكن لسانه لم يلبث أن انعقد..."([4])، كما يطلعنا على ما به من سرور يوم دفع أخوه إليه بألفية"ابن مالك" و"مجموع المتون" ليحفظها استعدادا للأزهر، ومن هنا يتناول بكلامه العلم والعلماء والمعلمين والشيوخ والمنبثين في كل مكان، ومنهم المتعلم بعض الشيء، والجاهل الذي يفسد على الناس دينهم.و يروي لنا الكاتب قصة أحدهم وقد سأله الصبي ذات يوم:" ما معنى قوله تعالى (وخلقناكم أطوارا) ؟ فأجاب هادئا مطمئنا: خلقناكم كالثيران لا تعقلون شيئا([5]).

و

يواصل الكاتب حديثه ووصفه إلى نهاية هذا الجزء فتراه يلتفت إلى ابنته، وكانت في التاسعة من عمرها وكان أستاذا في الجامعة فيحدثها عن نفسه حين أرسل إلى القاهرة ليختلف إلى دروس العلم في الأزهر قائلا:([6]) "... نعم يا ابنتي ! لقد عرفت أباك في هذا الطور من

1- طه حسين "الأيام" دار الكتاب اللبناني-بيروت- ط2(1974) ص20

2- سهير القلماوي"ذكرى طه حسين"ص60

3- حنا الفخوري"الجامع في تاريخ الأدب العربي"ص360

4- طه حسين "الأيام"ص58

5- حنا الفاخوري" الجامع في تاريخ الأدب العربي"ص361

6- شوقي ضيف "الترجمة الشخصية" دار المعارف بمصر ط2 (1997) ص117

حياته، وإني لا عرف أن في قلبك رقة ولينة، وإني أخشى لو حدثتك بأمر أبيك حينئذ أن يملكك الإشفاق وتأخذك الرأفة فتجهش بالبكاء..."([1]) وننتقل معه إلى الجزء الثاني من كتاب "الأيام" ليحدثنا عن سكناه بأحد الأزقة بجوار الأزهر وما كان يلقى في مسكنه ومطعمه من ضروب التعب والمشقة ([2])، وهذا ما يظهر جليا في قوله:"فهو يسكن بيتا غريبا سلك إليه طريقة غريبة أيضا ينحرف إليه من اليمين إذا عاد من الأزهر..."([3]) و نراه يطيل الحديث عن الأزهر وصحبه ودروسه، وينقل إلينا
نقلا دقيقا صورة الحياة العلمية فيه حينئذ وما كان فيها من صلاح وفساد([4])، وفيما يلي سنرى وجهة نظره من مرحلة دراسته في الأزهر فها هو يقول: "... وكان كغيره من أقرانه في ذلك الوقت بارعا في العلوم الأزهرية كل البراعة ساخطا على طريقة تعليمها سخطا شديدا قد بلغت تعاليم الأستاذ الإمام قلبه فأثرت فيه، ولكنها لم تصل إلى أعماقه، فلم يكن مجددا خالصا ولا محافظا خالصا وإنما كان شيئا بين ذلك، وكان هذا كافيا لينظر الشيوخ إليه شررا ويلحظوه في شيء من الريبة والإشفاق..."([5]).
كما أنه يشيد بالشيخ" محمد عبده" ومحاضراته، و يكثر من ملاحظاته على رفاقه والشيخ من حوله والصناع والباعة وغيرهم
ويعود إلى البلدة بآراء جديدة في الدين، وينكر الناس منه ذلك ثم يرد إلى الأزهر فيمعن في الفقه والنحو، والمنطق ويمعن في جدال الشيوخ ويتعمق في الاعتراضات والأجوبة، ولا يلبث أن يتجه إلى الأدب ودروس الشيخ "المرصفي" خاصة فقد وجد فيها ما يسد حاجته ورغبته، فأثرها على غيرها من الدروس، وأخذ في نقد الشيوخ وأفكارهم نقدا حرا ثائرا، ورمي بالكفر والإلحاد([6])، فهو يرى أن شيوخ الأزهر الشريف سواء أرادوا أم سخطوا لا يؤذوا للإسلام حقه من العناية والرعاية والقيام دونه وإذاعته في أقطار الأرض لأنهم لا يقدرون على ذلك ولأن كواهلهم أضعف من أن ينهض بهذا العبء الثقيل([7])، فلم يهن يهن بل أقبل على قراءة كتب" قاسم أمين وغيره من المجددين، وأنشأت الجامعة القديمة وإذا هو يختلف مع قائده إلى دروس الأزهر مصبحا وإلى دروس الجامعة ممسيا، ويتسع أفقه عن طريق ما سمع من الجامعة من المستشرقين وغيرهم، واستمع إلى أساتذة لا سبيل إلى الموازنة بينهم- كما يقول- وبين أساتذته في الأزهر وعكف على هؤلاء الأساتذة محاضراتهم فكادت تنقطع الصلة بينه وبين حياته القديمة وعول على قطع كل صلة بينه و بين الأزهر لولا أنه وجد عند أبيه رغبة في أن يتم دروسه به.
و إذا كان قد أنهى الجزء الأول من أيامه بتوجيه الحديث إلى ابنته فإنه أنهى هذا الجزء بتوجيه الحديث إلى ابنه و كان قد أتم دراسته في جامعة القاهرة و انتوى أن يعبر البحر إلى باريس ليطلب فيها العلم.
فها هو يخاطبه قائلا له : " و ها أنت يا بني تهجر وطنك و مدينتك و دارك و تفارق أ و وأصدقاءك و تعبر البحر في سنك هذه الصغيرة لتطلب العلم وحيدا في باريس فدعني أهدي

1- طه حسين" الأيام" ص142

2- شوقي ضيف" الترجمة الشخصية" ص118

3- طه حسين"الأيام" ص151

4- شوقي ضيف" الترجمة الشخصية" ص119

5- طه حسين" الأيام" ص275

6- أبو بكر عبدالرزاق "وثائق قضايا طه حسين" المكتبة العصرية-صيدا-بيروت الجزء الاول (دالط)1991.ص358

7- شوقي ضيف :" الترجمة الشخصية " ص 119 .

إليك هذا الحديث ... و تذكر شخص طالما ارتاح إلى قربك منه ، و طالما وجد في جدك و هزلك لذة لا تعدلها لذة ، و متاعا لا نعيد له متاعا "([1]) وعلى هذا النحو يعرض طه حسين الجزءان ـ الأول و الثاني ـ صور المجتمع المصري في أواخر القرن الماضي و أوائل هذا القرن ، ويجلوان علينا صور الثقافة و التعليم في الكتاب و الأزهر، يتحول أديبنا إلى آلة دقيقة من آلات الرصد تحصي كل هزة كبيرة أو صغيرة في محيطه و هو يضع وتحت عينك هذا الرصد في صدق يخلبك، لا بأسلوبه فحسب بل بصراحته و دقته و إلى حكاية الواقع بجميع حقائقه و دقائقه ([2]).

وفي الجزء الثالث يحدثنا الكاتب عن فترة جديدة من حياته هي فترة الصراع في سبيل التجديد والانفتاح، و فترة الانتقال إلى عالم جديد هو عالم أوربا فقد ضاق الفتى ذرعا بالأزهر واتصل بالجريدة و مديرها السيد " لطفي السيد " كما اتصل بالشيخ " عبد العزيز جاويش " وراح يكتب المقالات النقدية فها هو يصف لنا نفسه في شأن نقده لشيوخ الأزهر فيقول: " و كان صاحبنا الفتى أطولهم لسانا، و أجرأهم قلما، و أجرحهم لفظا، عاب الشيوخ نثراو شعرا، و نشر له عبد العزيز جاويش ذلك في جريدة " العلم " فرضي المجددون و أغرقوا في الرضى، و سخط المحافظون وأسرفوا في السخط، و تناقل أولئك و هؤلاء هذه الأبيات الثلاثة من شعر الفتى الذي لم ينسبه إلى نفسه و إنما زعم أنه تلقاه في البريد :

رعى اللـه المشـايخ إذ تـوافـوا إلى سافواي في يوم الخميـس
و إذ شهدوا كؤوس الخمر صرفـــا تدور بها السقاة على الجلـوس
رئيس المسلميـــــن عـــداك ذم إلا اللــه ذرك مـــن رئيـس ([3])

و المناسبة التي أدت بطه حسين إلى نشر مقالته النقدية هي أن بعض الصحف نشرت أبوابا زعمت فيها أن أكواب الشمبانيا أديرت حول هذه المائدة و كان مجموعة من شيوخ الأزهر يتقدمهم الإمام الأكبر قد شهدوا هذا العشاء، و رأوا ما أدير فيه من الأكواب فلم ينكروا بالقول ولا بالفعل و قد

أثار ذلك كله حفيظة الأزهريين فعملوا على إسقاطه في امتحان العالمية و على فصله من دروس الأزهر و يغرق طه حسين في الكلام عن الجامعة و أساتذتها، و يهلل لهذه الحياة التي يملأ فيها رئتيه من الهواء الطلق، و عقله من العلم الطلق الذي يخلق نفسه خلقا جديدا، و يضع رسالته " تجديد ذكرى أبي العلاء " فينال بها درجة الدكتوراه، و يصبح " سفره إلى فرنسا دينا له على الجامعة ليس بد من أن تؤديه له " .ويسافر الشاب إلى فرنسا و يكب على الدروس و التحصيل، و يواجه في الحياة الباريسية صعوبات جمة، و يظل كذلك إلى أن وفقه الله إلى ملاقاة الفتاة التي عطفت عليه و كانت له في حياته العين المبصرة، والزوجة الرفيقة المخلصة [4] و هذا ما تستبينه من قوله في الفصل الخامس عشر الذي وضع له إسم " المرأة التي أبصرت بعينها " فتراه يستهل هذا الفصل بقوله: " و استأنف الفتى حياة جديدة بأوسع معاني هذه الكلمة و أعمقها؟ كان يرى نفسه في كلمة أبي العلاء حين قال أنه أنسي الولادة و حشي الغريزة كان يرى نفسه إنسانا من الناس ولد كما يولدون و عاش كما يعيشون.."([5]) ويعود إلى القاهرة بعد نيله شهادة الدراسة العليا في التاريخ من " السربون "، ودكتوراه الثانية، ويدرس في الجامعة و تغريه السياسة

---

[1]- طه حسين : " الأيام " ص- 397.

[2]- شوقي ضيف : " الأدب العربي المعاصر في مصر"- دار المعارف ف مصر -ط05 (1974م) ص 285.

3- طه حسين " الأيام " ص 402 .

4- حنا الفاخوري " الجامع في تاريخ الأدب " ص 363 ,

2 - طـه حسين " الأيام " ص 591 .

فينحاز إلى جماعة "عدلي باشا" فيلقى من جماعة " سعد زغلول " أي جماعة الوفد سخطا " يراه السعديون مارقا قد ملا المارقين، و يراه القصر كافرا بالنعمة جاحدا للجميل و يرى أنه أرضى ضميره و أدى واجبه، و ليكن بعد ذلك ما يكون ... "([1]) و هذا جل ما استطعنا أن نرصده في الجزء الثالث من كتاب الأيام لـطه حسين و الذي مثل مرحلة جد مهمة من حياة أديبنا و دراسته و أدبه.

و إذا كانت المحاولة في كتاب الأيام تحير الدارسين في عملية انتماء الكتاب الفني، فإن الباحثين قد تساهلوا في تسميته، و غفروا لعميد الأدب العربي نوعية الكتاب الخاصة وعلى الرغم من ذلك فإننا نجد فيه جوانب تقربه من الفن الروائي و لا غرو إن كانت كل الأحداث في الكتاب موضوعة لخدمة وإبراز تطوره، و لعل عدم التدخل المباشر من الدكتور طه حسين في تصوير حرمان الطفل و عجزه يكون سمة روائية في الكتاب علاوة على أسلوبه الذي يتراوح بين التصوير و التقرير

و إفساح في المجال و لو ضعيفا للحوار و هنا تبدو الأيام عبر أجزائها الثلاثة خليطا من عناصر ثلاثة : عنصر البحث، عنصر الرواية و عنصر السيرة الذاتية ([2]) وينعكس موقف أديبنا كروائي، وكاتب ترجمة ذاتية و باحث، على تقديمه الأحداث في كتابه فهو حين يلج إلى تقديم المواقف التي تكشف عن مشاعر الصبي وانفعاله دون تدخل مباشر في الأحداث يصبح أقرب إلى موقف الروائي الذي يكشف عن الدقة و الروعة. كما أن طبيعته كباحث فتظهر حين يهمل الصبي ليستكمل الحديث عن موضوع يراه ضروريا و ليس أهم بالنسبة له من موضوع العلم و الثقافة ([3]).

و بعد تقديمنا من خلال هذه الدراسة الموجزة لكتاب " الأيام " بأجزائه الثلاثة نلحظ مدى اهتمام طه حسين برصد جميع مجريات الأحداث التي اهتم بها في حياته منذ صباه و ما رافق هذه المرحلة من أحداث سواء كانت مفرحة أو صعبة عسيرة إلى أن صار شابا، و جميع المعارف التي اكتسبها سواء كانت في الأزهر أو الجامعة أو في أوربا خاصة في فرنسا حتى أصبح يلقب بعميد الأدب العربي . والأيام كما قدمها مؤلفها تعد سيرة ذاتية على الرغم من أن بعض الدارسين ذهبوا إلى القول بأن هذا الفن الأدبي يعد رواية كما ذكرنا آنفا .

<u>المبحث الثاني</u> : أبعاد الكتاب و مآخذه

أ ـ أبعاد الكتاب :

و الثقافة لدى الريفي، و حيث يعدوا القرآن و الحديث النبوي الشريف منهلا وحيدا لتلاميذ ذلك الزمان ، و الأساطير العربية و سيرها فبد ا بذلك طـه حسين مسلطا سيف النقد على تلك البيئة فهجرها إلى المدينة حيث الأزهر و العلوم الدينية، لتشكل الجامعة هنالك نقطة انطلاق أخرى يعبر بعدها إلى السربون في باريس و بدخوله إلى الجامعة كان يمر نفسيا في مرحلة تحول جعلت منه إنسانا آخر حيث حقق جوانب مهمة في شخصيته الثائرة على الواقع و ما الواقع إلا القري و الأزهر، و نظمها و علومها التي تغدوا في نظره ضيقة لا تأخذ الإنسان من حيز إلى آخر، بقدر ما تجمده و تبقيه أسيرا لاجترار معلومات تناولها الكثيرون قبله .([4])

و إذا كان الجزءان الأول و الثاني يمثلان عرضا للواقع الاجتماعي، و تململ الفتى فيه، فإن الجزء الثالث يكاد يكون تصريحا واضحا عن مشروع طـه حسين حيث يغدو عشقه للجامعة كمؤسسة

---

3 ـ حنا الفاخوري " الجامع في تاريخ الأدب " ص363 .

2 ـ سالم المعوش " صورة الغرب في الرواية العربية " ص382 .

[3]- عبد المحسن طه بدر:" تطور الراوي العربية الحديثة في مصر "- دار المعراف- مصر- ط04 –(دت) ص 309.

[4]- سالم المعوش: " صورة الغرب في الرواية العربية " – ص 382.

ثقافية تعلم غير العلوم الدينية فكاكا كبيرا من اسر تلك العلوم و لا ريب في أن هذا العبورالذي أصاب الفتى والذي أحدث الكثير من الجديد في عالمه كان مدروسا و مصمما من قبل أديبنا، و قد دخل هذا الفتى إلى هذا الباب ليصل إلى العالم الأرحب حيث سيجد لمشروعه أسسه القويمة في علوم تساعده في ثورته و تبدد جو القلق في عالمه. كما يلقى مساحته الواسعة و القيمة في نفس الفتى، و كان يبشر كلما اتسع عالمه هذا، فقد اتصل بأساتذته الغربيين و تأثر بهم كثيرا منهم " نالينو و سنتلانا، و ميلوني " و قد أثمر هذا الاتصال ولعا تاما بالغرب و أدبه و ثقافته مناهجه، كما كان فاتحة عهد جديد للعلاقة الشرقية الغربية، و هذا ما دفع معلم الانفتاح على الغرب " لطفي السيد " لأن يشجع الفتى فتنبأ له مرة بأنه سيكون موضعه من مصر موضع فولتير من فرنسا.
و هكذا انصرف الفتى إلى الكتابة موزعا بين مذهبين من مذاهب الكتابة في ذلك الوقت أحدهما مذهب الاعتدال و القصد ذلك الذي كان " لطفي السيد " يدعوه إليه و الآخر مذهب الغلو و الإسراف، ذلك الذي كان عبد العزيز جاويش يغريه به، و كان الفتى يستجيب للمذهبين جميعا فإذا اقتصد نشر في الجريدة و إذا غلا نشر في صحف الحزب الوطني. لا ريب في أن الإجماع الكبير في موقفه من الثقافة الغربية و ضرورة الأخذ بها و ما جاء في كتاب الأيام في أنه من كبار الداعين إلى الأخذ بالثقافة الغربية بالقدر الذي تستقيم به شخصيتنا العربية و ندخل إلى معترك الحياة مزودين بآخر ما توصلت إليه الحضارة ولا شك أيضا " كان جيل الرواد الذي يق على رأسه طـه حسين يمثل ذروة التمرد على كل الأشياء المقيمة و القوانين و القوالب الثابتة في الفن و الحياة على السواء.
و إذا كانت هذه المعركة قد جرت على طـه حسين كثيرا من المشاكل و وجهت نحو صدره رأس السهم ، وإذا كانت قد وئدت لسبب أو لآخر إلا أنها على الرغم من ذلك كانت تمثل شموخ التطلعات الثقافية في أدبنا الحديث "([1])

ب ـ مآخذ الكتاب :

إن كتاب الأيام صورة واعية بين الإنسان و بيئته و كاتبه يعمد إلى تصوير ذلك الصراع و لا يدعه ليستنتج من طبيعة السيرة نفسها، فهو يصف مراحله و يتدرج بها، معتمدا على أن حياته خير مثال للانتصار على البيئة، و الوصول في النهاية لكن طبيعة الثروة عنده ليست قوية وهي في جانبها الإيجابي لا تزال أضعف منها في الجانب السلبي، و تتجمع العاصفة في نفس الصبي عن طريق الصدمات التي يتلقاها من الناس والمجتمع، بطريقة سلبية([2]).
و قد تدرج الكاتب تدرجا قويا ساطعا مع نمو سوء الظن في نفسه، و ارتيابه فيما يدعيه الناس من حق و صدق و تدين، لأنه ركز اهتمامه في نقل صورة مريبة من النفاق و الكذب، و خاصة في البيئة الدينية و كان من ثمرة هذا التصوير اقتراب النفس التي عانت حفظ القرآن الكريم سنوات طوال فلم تحفظه، اقترابها من حومة العقل و ابتعادها عن روح التدين في تلك البيئة، و تحوله إلى العقل مشوب بالعاطفة. وسيظل هذان العنصران غير منفصلان في نظرته إلى الناس و الأشياء، و قد أحب الكاتب بيئة الريف أكثر مما أحب بيئة الربع و الأزهر، و كان في تصويره الأول و سخريته بما فيه، أقدر منه على رسم الثاني، ومن العجيب أن تعمق السخرية حيث يعمق الحب.
و لكنه في الجزء الثاني صرف جهدا كبيرا في رسم الشخصيات التي عرفها في الربع، فكانت الوحدة المستقطبة حول الذات في الجزء الأول أوضح منها في الجزء الثاني، و على الرغم من

---

1 ـ سالم المعوش نقلا عن خيري شلبي " محاكمة طه حسين " المؤسسة العربية للدراسة و النشر بيروت (د ط) (1972) ص 17 - 18 .

2- إحسان عباس " فن السيرة " دار صادر بيروت ط01 (1996) ص 131

بعض المواقف العاطفية في الكتاب فإن طبيعة الانسياب فيه، و سرده في ضمير الغائب (التمجد) فقد حققا شيئا من التجرد في الحكم. فباستعمال ضمير الغائب بريء من مظنة العجب و الدعوى و التمجد بالنفس ... و مما قلل من صراحته إخفاؤه للأسماء ـ أسماء الأماكن و الناس ـ فأضعف القيمة المكانية و شيئا من القيمة التاريخية في قصة حياته، و أبدى أنه لا يستطيع الجهر بأشياء كثيرة، لأن نفسه منذ الصغر طبعت على الاستحياء و التواري و انجذبت إلى الرزانة وشدة التحرج : " كان قليل الأكل لأنه كان قليل الميل إلى الطعام، بل لأنه كان يخشى أن يوصف بالشره أو أن يتغامز عليه إخوته... و كان يستحي أن يشرب على المائدة مخافة أن يضطرب القدح في يده أولا يحسن تناوله حين يقدم إليه " و له في هذه النشأة عذر جلي، و لكن هذا لا يعفيه من أمر القوة في الصراحة، كما أن ذاكرته متحيزة، لأن طبيعته الحزينة جعلته يتذكر كل ما كان ينمي عنده سوء الظن و النقمة على مر الأيام.
غير أن هذا التحيز في التذكر ليس غلوا إذا قسناه بما في " ذكريات الطفولة " لإبراهيم عبد الحليم من تحيز صرف، فهناك نجد أن ذاكرة الطفل لا تعي إلا جانب الفساد في الناس، من أغنياء و فقراء، رجال و نساء، صغار و كبار، حكوميين ومدنيين.
أما الحوار في " الأيام " فلا يساهم في حيويته الشخصيات ... فبالقدر الذي كانت تبدو فيه هذه الشخصية متحركة و نابضة بالحياة كان الحوار يظهر و يقوى. لكن الشخصيات لم تكن تحظى باهتمام الكاتب و لم تبد في خصائصها و سماتها كبشر يتحركون و يتألمون فمعظمهم شخصيات قائمة الملامح...لا نعرف عنها سوى الصورة التي أراد لها لذلك بدت فجأة كاملة و اختفت فجأة لا نعلم عن مصيرها شيئا... و لذلك كان الحوار ضعيفا و وحدها كانت شخصية الفتى تحظى بالتفصيل و التدقيق في عرضها. لذلك بدت واضحة في معاناتها و كي يزيد في إيضاح هذه الشخصية كان السرد بضمير الغائب و هذه الطريقة هي([1])" التقنية المتقدمة عن طريق نضوج التقنية الروائية في الوطن العربي و من المعروف أن ضمير الغائب يعطي الكاتب مسافة تبعده عن ذاته و تعطيه أقصى ما يمكنه من الموضوعية ظاهريا على الأقل " ([2]) و هذا الاستعمال هو ما يقرب الكاتب من الفن الروائي لأن الرواية تحتاج الموضوعية و ضمير الغائب يوفر المزيد من الموضوعية على الرغم من غلبة أسلوب التقرير على التصوير في الكتاب .
إلا أن النواقص التي نلمحها في كتاب الأيام إذا ما قبلنا دراسته كرواية فنية تبدو متلائمة أمام اعتقاد الدكتور طـه حسين بأنه لا يكتب رواية... و مع هذا فإن محمود تيمور في كتابه " اتجاهات الأدب العربي " يرى في طـه حسين " نجما لمع في الأفق القصصي... يجمع إلى الثقافة العربية الأصيلة ثقافة أوربية جامعية حين شرع يكتب سيرة شخصية مكتملة العناصر الفنية للقصص الرفيع و هي سيرته هو منذ طفولته... فكان لتلك السيرة التي حملت اسم الأيام صدى بعيدا في الأدب الجديد..."([3])
و في الأيام نجد الفتى، سيدنا، الأم، الأب و الأخت، و غيرهم كلهم بلا أسماء. قلما يذكر الاسم إلا إذا كان ممن عرفهم التاريخ العام من أساتذته أو الساسة الذين أثروا حياته، و من الطريف أن تلاحظ أن الأيام تحمل من الأسماء بمقدار قربها من التاريخ المعاصر. فالجزء الثالث فيه من الأسماء عدد لا بأس به في حين إن الجزء الأول لا نكاد نصادف فيه اسما إلا ناذرا([4]).

1- سالم المعوش " صورة الغرب في الرواية العربية " ص 394 .

2- المرجع نفسه , سالم المعوش " صورة الغرب في الرواية العربية " ص 394 نقلا عن محمد كامل الخطيب "المغامرة المعقدة" منشورات وزارة الثقافة دمشق (دط) (1976) ص 44 .

2 ـ ياغي " الجهود الروائية " دار العودة بيروت ط01 (1972) ص 77 .

4_ سهير القلماوي " ذكرى طـه حسين " ص130 .

المبحث الثالث : الخصائص الأسلوبية و الفنية

تعد السيرة الذاتية التي جسدها طـه حسين في كتابه الأيام تحفة أدبية تميزت بمجموعة من الخصائص الأسلوبية و الفنية التي سنحاول أن نذكر أهمها من خلال المميزات التالية : لقد كان أديبنا في هذا الكتاب عذب الحديث فالألفاظ و العبارات على نصاعتها تمتاز بنعومة ذات رواء و تلك موهبة خاصة تعرف في الذين إذا سمعت حديثهم قلت هذا هو السحر الحلال ([1]) ، رائع الفن، و يظهر ذلك جليا من خلال الأساليب البلاغية و الفنية التي استخدمها في الأيام، صريح القول يتبع الأحداث في ذاكرته و في نفسه و في قلبه ومجتمعه فينشر عالما من الإشفاق و الاهتمام، و الانتصار لما يقول و لما يفعل، فتبتئس لابتئاسه([2])في مثل قوله يصف لنا حاله في مرحلة الصبا و قد حرم على نفسه أنواعا من الطعام لأنه كان يخجل من نفسه و تصرفاته في الأكل فيقول : " قد أخذ اللقمة بكلتا يديه وغمسها من الطبق المشترك ثم رفعها إلى فمه، فأما إخوته فاغرقوا في الضحك، و أما أمه فأجهشت بالبكاء، و أما أبوه فقال في صوت هادئ حزين: ما هكذا تؤخذ اللقمة يا بني... و من ذلك الوقت حرم على نفسه ألوانا من الطعام لم تبح له إلا بعد أن جاوز الخامسة و العشرين... "([3]) و تسخط لسخطه و تثور لثورته([4]) ، و هذا ما نلمسه في مواقف عديدة من الكتاب و كمثال على ذلك قوله يظهر فيه رأيه حول امتحان اجتازه في الأزهر حيث يقول " و لقد دهش الصبي لهذا الامتحان الذي لا يصور شيئا و لا يدل على حفظ و قد كان ينتظر على أقل تقدير أن تمتحنه اللجنة على نحو ما كان يمتحنه أبوه الشيخ ، و لكنه انصرف راضيا عن نفسه ، ساخطا على ممتحنيه ، محتقرا لإمتحانهما ... "([5])

هذه الحالات تروعك الرصانة و الشفافية النفسية التي تتراءى من خلالها النفس الطيبة، اللينة التي تذوب لينا من المواقف الإنسانية، و يتحول لينها إلى صمود في نصرة الحق و العدل، و إن ثار على الأزهر و أركان التعليم فيه فما ذلك إلا غيرة على الحقيقة الدينية([6])، فها هو يصف لنا حاله في الأزهر: " و كان الفتى يفكر في ان أمامه ثمانية أعوام أخرى سيعدها ثمانين عاما كما عد العوام الربعة التي سبقتها ، وفي أن عليه أن يختلف إلى هذه الدروس كما تعود أن يفعل و أن يعيد و يبدىء في الكلام الذي لا يسيغه و لا يجد فيه عناء... ([7])

كما و يتميز أسلوبه بروعة التصوير الأدبي الذي قد يكون حسيا أو معنويا ، قال المؤلف يصف مجلسا لبعض الطرق الدينية : " فإذا صليت المغرب مدت الموائد ، و أكل الناس ثم تصلى العشاء ثم ينصب المجالس و نصب المجلس عبارة عن اجتماع الناس في حلقة الذكر يذكرون الله قاعدين ساكنين ثم تتحرك رؤوسهم و ترتفع أصواتهم قليلا ، ثم تنبث في أجسامهم رعدة فإذا هم جميعا وقوف قد دفعوا في الهواء كأنما حركهم لولب و قد انبث في الحلقة شيوخ شعر ابن الفارض و ما يشبهه من الشعر([8]) كما و

يروقك في كتاب طـه حسين المصارحة الاعترافية التي تجهد في أن تنقل الحقيقة في غير مواراة و لا تزيين و في غير مغالاة و لا تبطين، و التي تحدثك محاولة ألا تنسى شيئا و أن لا تخفي شيئا([9])

1_ أنس المقدسي " الفنون الأدبية و أعلامها في النهضة العربية الحديثة ص570.

2-حنا الفاخوري "الجامع في تاريخ الأدب العربي" ص364

3- ينظر طه حسين : " الأيام "- ص 23.

4- حنا الفاخوري : " الجامع في تاريخ الأدب العربي " – ص 364.

5- ينظر طه حسين : " الأيام " – ص 278.

6- حنا الفخوري "الجامع في تاريخ الأدب العربي" ص364

7- أنس المقديسي " الفتوت الأدبية و أعلامها في النهضة العربية " ص 570.

8- طه حسين "الأيام" ص 367

9- حنا الفخوري "الجامع في تاريخ الأدب العربي" ص365

مثل قوله : "نحيفا شاحب اللون مهمل الزي أقرب إلى الفقر منه إلى الغنى ، تقتحمه العين اقتحاما في عباءته القذرة ، و طاقيته التي استحال بياضها إلى سواد قاتم ، وفي القميص الذي يبين من تحت عباءته و قد اتخذ ألوانا مختلفة من كثرة ما سقط عليه من طعام ، و في نعليه الباليتين المرقعتين ، تقتحمه العين في هذا كله ، و لكنها تبتسم له حين تراه على ما هو عليه من حال رثة و بصر مكفوف واضح الجبين ، مبتسم الثغر ، مسرعا مع قائده إلى الأزهر لا تختلف خطاه ، و لا يتردد في مشيته ... "([1]) و هذه الشخصية تعتمد على التلميح الواضح إذا كان الكلام أو الموقف قبيحا، و هي تحاول أبدا أن تلطف الكلمة أو العبارة من غير أن تحدهما في التعبير عن كامل الحقيقة، و كم في هذه المصارحة الاعترافية من العذوبة التي تجعل الكلمة مقبولة، مستساغة و إن كانت لا تخلوا من قسوة. و قد تلمس في اعتراف الرجل و حديثه بسمة تهكم ([2])، والتهكم في اللغة الاستهزاء و التحقير، على أنه في الفن الأدبي يعني النقد الفكه أو الهجاء المبطن بالدعابة كقوله يصف شيخا : " و منهم هذا الشيخ الذي كان في أول أمره حمارا ينقل الناس بضائعهم و أمتعتهم ثم صار تاجرا أو اقتصرت حمرته على نقل تجارته و الذي كان الناس مجمعين على أنه أكل أموال اليتامى، وأثرى على حساب الضعفاء و الذي كان يكثر من ترديد هذه الآية :" **إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا و سيصلون سعيرا"** (النساء الآية 10)([3]) و طـه حسين في حديثه دقيق إلى أقصى حدود الدقة ، إنه يعمل على استقصاء الأمور و توضيحها في شتى تفصيلاتها،و إبرازها خالية من كل غموض أو التباس ، و قد يغالي أحيانا في التفصيل و التطويل الذي ينقلان عن القارئ الذي يطلب المتعة أكثر مما يطلب الاستقصاء كما و يستهويك في كتابه السهولة التي تترفق في العبارة اللينة الجوانب، و إن طالت، و في اللفظة التي تنزل في محلها لا لشيء إلا للتعبير الدقيق البعيد عن التخيل و التعقيد و هكذا فأسلوبه أسلوب الترقق الهادئ الذي يجري و يجري طليا في انسياب متسلسل و في استطالة مترابطة الحلقات، و في تكرار لا يمجه الذوق و لا يستثقله الصدر.([4]) و أمثلة التكرار في كتاب الأيام متعددة و متنوعة نذكر هذا المثال من قوله: " ثم أدار المفتاح فانقطع جريان الماء، ثم رد على الإبريق غطاءه، ثم هزه هزا رفيعا ليبلغ ما فيه من الماء الساخن أجزاءه كلها، ثم قام فألقى ما في الإبريق فما ينبغي أن يجد الشاي برد الخزف فإن ذلك يفسده، ثم انتظر بهذا الشاي ثواني، ثم صب عليه الماء في رفق من دون أن يملأ الإبريق إلى غايته... " و قد تجد مثل هذا التكرار و الترديد في كثير من مواضع الكتاب و هو كما يقال خروج عن أسس البلاغة و الواقع أنك لا تجد خروجا عن سنن البلاغة ، فقد أصبح بنفسه بلاغة تحتدى كهذا الأسلوب، فما هو إلا حديث ممتع لما يحتويه من طلاوة و روعة في التعبيرو التصوير.([5])

و هذا الأسلوب المتموج الزاخر بالنغم. فلا تسمع لكلام طـه حسين حتى تعرفه بطوابعه المعينة في عباراته المألوفة التي يأخذ بعضها برقاب بعض في جرس موسيقي رائع، و كأنه يرى أن الأدب الجديد بهذا الاسم هو الذي يروع القلب في آن واحد و لذلك يوفر لصوته كل جمال ممكن و من هذه الناحية يشبه أدباءنا القدماء من أمثال " الجاحظ " الذين كانوا يقصدون إلى التأثير بموسيقى كلامهم، فالكلام يؤدي بأوجز عبارة، و إنما يبسط بسطا ليحمل أداء موسيقيا يضاف إلى أداء الأفكار و المعاني. و من هنا نلحظ أن طـه حسين قد احتفظ لنا بخصائص لغتنا القديمة ، فوفر لأسلوبه كل ما يستطيع من جمال صوتي، و أتاح لهذا الجمال أن يعبر تعبيرا طبيعيا عن نظراته و تحليلاته، و كل ما

1- طه حسين "الأيام" ص 144

2- حنا الفخوري "الجامع في تاريخ الأدب العربي" ص365

3- أنس المقدسي " الفنون الأدبية و أعلامها في النهضة العربية الحديثة " ص573

4- حنا الفخوري "الجامع في تاريخ الأدب العربي" ص365

5- أنس المقدسي " الفنون الأدبية و أعلامها في النهضة العربية الحديثة ص573

نقله إلينا من الغرب، فلم يعد الجمال الصوتي عنده فارغا بل أصبح جزء لا يتجزأ من أدبه، بل لقد غدا في يده أداة مرنة شفافة، تنتقل إلينا كل ما يختلج في عقله و قلبه من عواطف و مشاعر نقلا دقيقا، فالأسلوب عنده ليس كساء أو طلاء و إنما هو قوام أدبه ومادة فنه، يسند به كلما يتدفق على ذهنه من معان و أفكار و ألفاظ و كلمات([1]) و لما كان الصوت يلعب في أدب طـه حسين دورا ضخما فقد دمغ فنه الروائي ببصمات قوية و شغل جزء هاما من وصفه لمل يحس من حوله فإننا نقف بصوت الظلمة هذا لنتأمل قوله " صوتا متصلا يشبه طنين البعوض لولا أنه غليظ ممتلئ، و كان هذا الصوت يبلغ أذنيه فيؤذيها و يبلغ قلبه فيملؤه روعا. فيجلس القرفصاء و يعتمد بمرفقيه على ركبتيه و يخفي رأسه بين يديه، و يسلم نفسه لهذا الصوت الذي يأخذه من كل مكان. و مع أن سكون العصر كان كثيرا ما يضطره إلى النوم فقد كان سكون العشية يضطره إلى اليقظة التي لا تشبهها يقظة " .([2]) و في نهاية المطاف نقول أن أديبنا قد تميز بـ: " الأسلوب البارع الذي يمس القلوب، و ينير العواطف بما فيه من سلاسة و عذوبة و صفاء، و قدرة على التصوير و التلوين، أسلوبه متموج زاخر بالنغم... فلا نستمع إلى كلام له حتى تعرف بطوابعه المعينة في عباراته الملفوقة التي يأخذ بعضها برقاب بعض في جرس موسيقي بديع... "([3])

إن دراستنا التطبيقية التي أجريناها على كتاب " **الأيام** " في هذا الفصل الثاني من بحثنا مكننا من الاطلاع على بجوانب متعددة من هذه الشخصية، وكلما انتقلنا من مرحلة إلا و اكتشفنا أشياء جديدة مرت بها. فمثلا في مرحلته الأولى التي تمثلت في الجزء الأول من الكتاب وقفنا على بيئة و منشأ أديبنا و دراسته في الكتاب أما المرحلة الثانية فقد خصصها للحديث عن أوربا و فرنسا بالخصوص. و أهم التغيرات التي أحدثها في شخصيته. ولولا هذا الكتاب لما استطعنا التعرف عليها و ما كان لأحد أن يكشف عن جوانبها كما فعل صاحبنا .

و كل ما يمكننا أن نقوله أن اغلب الدارسين قد أفاضوا في الحديث عن هذا الكتاب الذي يمثل السيرة الكاملة لحياة طـه حسين .

إن دراسات السير تفيدنا فائدة جليلة في الأدب، فحين يستشار اهتمامنا بكتابة أي مؤلف كبير ستزداد رغبتنا في أن نعرف شيئا عن الرجل نفسه، وسنكون مشتاقين لان نراه في الأوساط الاجتماعية التي يعيش فيها و في علاقته اليومية مع رفقائه، وفي أن نعرف أهم العوامل في تاريخه الخارجي وفي آماله وجهاده و نجاحه وإخفائه والصلة بين كتبه و هذه البيئة الداخلية والخارجية، والتي كتب المؤلف فيها وعنها .

وفي دراستنا للأديب دراسة جيدة يخيل لنا أننا نرسم صورة واضحة له تلقي ضوءا كبيرا على أدبه هدا فضلا على أن سيرة الأديب في حد ذاته لذيذة([4]).

1- شوقي ضيف"الأدب العربي المعاصر في مصر" ص286

2- سهير القلماوي " ذكرى طـه حسين " ص63 .

3- سالم المعوش " صورة الغرب في الرواية العربية " ص 393 .

(1) - أحمد أمين "النقد الأدبي" ملتزمة الطبع والنشر مصر ط4 (1972م) ص96

و قد يسلك الكاتب عند رسم الخطوط عن شخصه طريقة العرض الإخباري أو ما يسمى بالأسلوب التلغرافي لمجرد تسجيل حوادث عمره، وقد ينهج طريقة الحكاية ثم تحليل والبواعث الغوص في أعماق الوجدان والذات وذلك ما اتسمت به كتابة طه حسين([1].)
وقد كثر هدا النوع الأدبي و المتمثل في السيرة الذاتية كثرة ملحوظة في أدبنا المعاصر وسنتناول في هذا الفصل دراسة السيرة الذاتية من خلال كتاب **"الأيام"** لأديبنا طه حسين.

الفصل الثانـــــي : أنموذج في أدب السير الذاتية و خصائصها كتاب –الأيام-

المبحث الاول : تقديم عام للكتاب:

لقد اهتم عدد غير قليل من الأدباء العرب بكتابة سيرتهم الذاتية، و التي ظهرت جليا من خلال مؤلفاتهم التي كتبوها سواء في الأدب القديم أو الأدب المعاصر، و لقد كان طه حسين من الأدباء الدين ساهموا في تطوير هدا النوع الأدبي و تميز به، حيث قدم لنا سيرته الذاتية "الأيام" التي حظيت باهتمام واسع في أوساط الأدب العربي الحد يتكون كتاب "الأيام" من ثلاث أجزاء وصدور هذه الأجزاء كان متفرقا تفصل بين الواحد والأخر مدة زمنية قد تطول و تقصر، صدر الأول سنة 1929م، و الثاني سنة 1939م أما الثالث فقد تأخر في الظهور حتى سنة 1967 استهل أديبنا جزأه الأول من كتاب "الأيام" يصف لنا كيف كان يحس الزمن، فنشعر من الوصف أنه لا يكاد يرى شيئا([2])يقول:"لا يذكر لهذا الوقت اسما، ولا يستطيع أن يضعه حيث وضعه الله من الشهر والسنة، بل لا يستطيع أن يذكر من هذا اليوم وقتا بعينه، وإنما يقرب ذلك تقريبا وأكبر ظنه أن هذا الوقت كان يقع في فجره أو عشائه، يرجح ذلك لأنه يذكر أن وجهه تلقى في ذلك الوقت هواء فيه شيء من البرد الخفيف الذي لم تذهب به حرارة الشمس. ويرجح ذلك لأنه على جهله حقيقة النور والظلمة تغشى بعض حواشيه.."([3])

أما مدار هذا الجزء فهو حول سن الطفولة وما جرى فيها من أحداث، فيذكر البيت الصعيدي الذي نشأ فيه، والسياج الذي كان يحول من انطلاقه، والمزرعة التي كانت تنبسط من وراءه... وأنه سابع ثلاثة عشر من أبناء أبيه، وأنه أحس أن إخوانه يستطيعون مالا يستطيع([4])، وهذا ما جاء في قوله : " فقد أحس أن لغيره من الناس عليه فضلا وأن إخوته وأخواته يستطيعون مالا يستطيع، وينهضون من الأمر لما لا ينهض له، وأحس أن أمه تأذن لإخوته وأخواته في أشياء تحظرها عليه، وكان ذلك يحفظه ولكن لم تلبث هذه الحفيظة أن استحالت إلى حزن صامت عميق، ذلك أنه سمع إخوته يصفون مالا علم له به،فعلم أنّهم يرون مالا يرى"([5])

فمن خلال قوله هذا فهو يصرف ما كان يشعر بسبب هذه الآفة كيف عرف أنه أعمى، وكيف أحس هذا، ومكانه من الأسرة والمعاملة الخاصة من أمه، واحتياط الإخوة في تعاملهم معه، بل الإهمال والغلطة من أمه أحيانا([6]).

وقد توغل أديبنا في أعماق نفسه ليظهر لنا أثر العمى فيها وفي شتى تصرفاته وأحواله الحياتية، كما أسرف في وصف حاله مع المجتمع الذي يعيش فيه ثم ينقلنا إلى الكتاب

---

(1)- علي شلق "النثر العربي في نماذجه وتطوره العصري النهضة والحديث" ص325

(2)- سهير القلماوي نقلا عن "الأيام" ج01 ص 01

(3)- سالم المعوش"صورة الغرب في الرواية العربية" مؤسسة الرحاب الحديثة بيروت ط01 1998م ص378

4- حنا الفاخوري"الجامع في تاريخ الأدب العربي" ص360

5- طه حسين "الأيام" دار الكتاب اللبناني-بيروت- ط2(1974) ص20

6- سهير القلماوي"ذكرى طه حسين"ص60

و"سيده" فيغرق في الكلام على حال طلابه المزرية وحال شيخه المزرية([1]).
ومن طريف أحاديثه عن شيخه وطلابه قوله: "ويرى طه حسين نفسه في منحى يوم جالسا على الأرض بين يدي "سيدنا" ومن حوله طائفة من النعال كان يعبث ببعضها، وهو يذكر ما كان قد الصق بها من الرقع، وكان سيدنا جالسا على دكة من الخشب صغيرة، وكان سيدنا لا يعفي نعيله إلا إذا لم يجد من ذلك بدا، وكان يرقعها من اليمين ومن الشمال ومن فوق ومن تحت، وكان إذا أخلت به إحدى نعليه دعا أحد صبيان الكتاب وأخذ النعل بيده وقال له: تذهب إلى "الحزين" وهو هنا قريب فتقول له: يقول لك سيدنا إن هذه النعل في حاجة إلى لوزة من الناحية اليمنى... فيقول لك " الحزين": نعم سأضع هذه اللوزة فتقول له: ويقول لك سيدنا إنه عميلك منذ زمن طويل، فاستوص بالأجر + خيرا، ومهما يقل لك فلا تقبل منه أكثر من قرش، ثم عد إلي مسافة ما أغمض عيني ثم أفتحها، وينطلق الصبي ويلهو عنه"سيدنا" ثم يعود وقد أغمض "سيدنا" عينيه وفتحهما مرة ومرة و مرات .

ثم ينطلق راويا واصفا، ويخبرنا أنه حفظ القرءان الكريم في التاسعة من عمره، وأنه وجد في ذلك عنثا أمام أبيه وشيخه من جراء ما كان ينتابه من النسيان وهذا ما نجده في قوله:"...

قال له أبوه: ماذا تلوت اليوم من القرءان؟ فيجيب: ختمت وتلوت الأجزاء الستة الأخيرة. قال الشيخ: ومازلت تحفظه حفظا جيدا؟ قال نعم، قال الشيخ: فاقرأ لي سورة سبأ. وكان صاحبنا قد نسي سورة سبأ، كما نسي غيرها من الصور، فلم يفتح الله عليه بحرف. قال الشيخ: فاقرأ سورة فاطر، فلم يفتح عليه الله بحرف... فقرا سورة يس، ففتح الله عليه بالآيات الأولى من السورة، ولكن لسانه لم يلبث أن انعقد..."([2])، كما يطلعنا على ما به من سرور يوم دفع أخوه إليه بألفية"ابن مالك" و"مجموع المتون" ليحفظها استعدادا للأزهر، ومن هنا يتناول بكلامه العلم والعلماء والمعلمين والشيوخ والمنبثين في كل مكان، ومنهم المتعلم بعض الشيء، والجاهل الذي يفسد على الناس دينهم.و يروي لنا الكاتب قصة أحدهم وقد سأله الصبي ذات يوم:" ما معنى قوله تعالى (وخلقناكم أطوارا) ؟ فأجاب هادئا مطمئنا: خلقناكم كالثيران لا تعقلون شيئا([3]). و

يواصل الكاتب حديثه ووصفه إلى نهاية هذا الجزء فتراه يلتفت إلى ابنته، وكانت في التاسعة من عمرها وكان أستاذا في الجامعة فيحدثها عن نفسه حين أرسل إلى القاهرة ليختلف إلى دروس العلم في الأزهر قائلا:([4]) "... نعم يا ابنتي ! لقد عرفت أباك في هذا الطور من حياته، وإني لا عرف أن في قلبك رقة ولينة، وإني أخشى لو حدثتك بأمر أبيك حينئذ أن يملكك الإشفاق وتأخذك الرأفة فتجهش بالبكاء..."([5]) وننتقل معه إلى الجزء الثاني من كتاب كتاب "الأيام" ليحدثنا عن سكناه بأحد الأزقة بجوار الأزهر وما كان يلقى في مسكنه ومطعمه من ضروب التعب والمشقة ([6])، وهذا ما يظهر جليا في قوله:"فهو يسكن بيتا غريبا

1- حنا الفخوري"الجامع في تاريخ الأدب العربي"ص360

2- طه حسين "الأيام"ص58

3- حنا الفاخوري" الجامع في تاريخ الأدب العربي"ص361

4- شوقي ضيف "الترجمة الشخصية" دار المعارف بمصر ط2 (1997) ص117

5- طه حسين" الأيام" ص142

6- شوقي ضيف" الترجمة الشخصية" ص118

غريبا سلك إليه طريقة غريبة أيضا ينحرف إليه من اليمين إذا عاد من الأزهر..."([1]) و نراه يطيل الحديث عن الأزهر وصحبه ودروسه، وينقل إلينا
نقلا دقيقا صورة الحياة العلمية فيه حينئذ وما كان فيها من صلاح وفساد([2])، وفيما يلي سنرى وجهة نظره من مرحلة دراسته في الأزهر فها هو يقول: "... وكان كغيره من أقرانه في ذلك الوقت بارعا في العلوم الأزهرية كل البراعة ساخطا على طريقة تعليمها سخطا شديدا قد بلغت تعاليم الأستاذ الإمام قلبه فأثرت فيه، ولكنها لم تصل إلى أعماقه، فلم يكن مجددا خالصا ولا محافظا خالصا وإنما كان شيئا بين ذلك، وكان هذا كافيا لينظر الشيوخ إليه شررا ويلحظوه في شيء من الريبة والإشفاق..."([3]).
كما أنه يشيد بالشيخ" محمد عبده" ومحاضراته، و يكثر من ملاحظاته على رفاقه والشيخ من حوله والصناع والباعة وغيرهم
ويعود إلى البلدة بآراء جديدة في الدين، وينكر الناس منه ذلك ثم يرد إلى الأزهر فيمعن في الفقه والنحو، والمنطق ويمعن في جدال الشيوخ ويتعمق في الاعتراضات والأجوبة، ولا يلبث أن يتجه إلى الأدب ودروس الشيخ "المرصفي" خاصة فقد وجد فيها ما يسد حاجته ورغبته، فأثرها على غيرها من الدروس، وأخذ في نقد الشيوخ وأفكارهم نقدا حرا ثائرا، ورمي بالكفر والإلحاد([4])، فهو يرى أن شيوخ الأزهر الشريف سواء أرادوا أم سخطوا لا يؤذوا للإسلام حقه من العناية والرعاية والقيام دونه وإذاعته في أقطار الأرض لأنهم لا يقدرون على ذلك ولأن كواهلهم أضعف من أن ينهض بهذا العبء الثقيل([5])، فلم يهن يهن بل أقبل على قراءة كتب" قاسم أمين وغيره من المجددين، وأنشأت الجامعة القديمة وإذا هو يختلف مع قائده إلى دروس الأزهر مصبحا وإلى دروس الجامعة ممسيا، ويتسع أفقه عن طريق ما سمع من الجامعة من المستشرقين وغيرهم، واستمع إلى أساتذة لا سبيل إلى الموازنة بينهم- كما يقول- وبين أساتذته في الأزهر وعكف على هؤلاء الأساتذة محاضراتهم فكادت تنقطع الصلة بينه وبين حياته القديمة وعول على قطع كل صلة بينه و بين الأزهر لولا أنه وجد عند أبيه رغبة في أن يتم دروسه به.
و إذا كان قد أنهى الجزء الأول من أيامه بتوجيه الحديث إلى ابنته فإنه أنهى هذا الجزء بتوجيه الحديث إلى ابنه و كان قد أتم دراسته في جامعة القاهرة و انتوى أن يعبر البحر إلى باريس ليطلب فيها العلم.
فها هو يخاطبه قائلا له : " و ها أنت يا بني تهجر وطنك و مدينتك و دارك و تفارق أ و وأصدقاءك و تعبر البحر في سنك هذه الصغيرة لتطلب العلم وحيدا في باريس فدعني أهدي إليك هذا الحديث ... و تذكر شخص طالما ارتاح إلى قربك منه ، و طالما وجد في جدك و هزلك لذة لا تعدلها لذة ، و متاعا لا نعيد له متاعا "([6]) وعلى هذا النحو يعرض طه حسين حسين الجزءان ـ الأول و الثاني ـ صور المجتمع المصري في أواخر القرن الماضي و أوائل هذا القرن ، ويجلوان علينا صور الثقافة و التعليم في الكتاب و الأزهر، يتحول أديبنا إلى آلة دقيقة من آلات الرصد تحصي كل هزة كبيرة أو صغيرة في محيطه و هو يضع وتحت

1- طه حسين"الأيام" ص151

2- شوقي ضيف" الترجمة الشخصية" ص119

3- طه حسين" الأيام" ص275

4- أبو بكر عبدالرزاق "وثائق قضايا طه حسين" المكتبة العصرية-صيدا-بيروت الجزء الاول (دالط)1991.ص358

5- شوقي ضيف :" الترجمة الشخصية " ص 119 .

6- طه حسين : " الأيام " ص- 397.

عينك هذا الرصد في صدق يخلبك، لا بأسلوبه فحسب بل بصراحته و دقته و إلى حكاية الواقع بجميع حقائقه و دقائقه ([1]).

وفي الجزء الثالث يحدثنا الكاتب عن فترة جديدة من حياته هي فترة الصراع في سبيل التجديد والانفتاح، و فترة الانتقال إلى عالم جديد هو عالم أوربا فقد ضاق الفتى ذرعا بالأزهر واتصل بالجريدة و مديرها السيد " لطفي السيد " كما اتصل بالشيخ " عبد العزيز جاويش " وراح يكتب المقالات النقدية فها هو يصف لنا نفسه في شأن نقده لشيوخ الأزهر فيقول: " و كان صاحبنا الفتى أطولهم لسانا، و أجرأهم قلما، و أجرحهم لفظا، عاب الشيوخ نثراو شعرا، و نشر له عبد العزيز جاويش ذلك في جريدة " العلم " فرضي المجددون و أغرقوا في الرضى، و سخط المحافظون وأسرفوا في السخط، و تناقل أولئك و هؤلاء هذه الأبيات الثلاثة من شعر الفتى الذي لم ينسبه إلى نفسه و إنما زعم أنه تلقاه في البريد :

رعى الله المشايخ إذ توافوا إلى سافواي في يوم الخميس
و إذ شهدوا كؤوس الخمر صرفا تدور بها السقاة على الجلوس
رئيس المسلمين عداك ذم إلا الله ذرك من رئيس ([2])

و المناسبة التي أدت بطه حسين إلى نشر مقالته النقدية هي أن بعض الصحف نشرت أبوابا زعمت فيها أن أكواب الشمبانيا أديرت حول هذه المائدة و كان مجموعة من شيوخ الأزهر يتقدمهم الإمام الأكبر قد شهدوا هذا العشاء، و رأوا ما أدير فيه من الأكواب فلم ينكروا بالقول ولا بالفعل و قد

أثار ذلك كله حفيظة الأزهريين فعملوا على إسقاطه في امتحان العالمية و على فصله من دروس الأزهر و يغرق طه حسين في الكلام عن الجامعة و أساتذتها، و يهلل لهذه الحياة التي يملأ فيها رئتيه من الهواء الطلق، و عقله من العلم الطلق الذي يخلق نفسه خلقا جديدا، و يضع رسالته " تجديد ذكرى أبي العلاء " فينال بها درجة الدكتوراه، و يصبح " سفره إلى فرنسا دينا له على الجامعة ليس بد من أن تؤديه له " .ويسافر الشاب إلى فرنسا و يكب على الدروس و التحصيل، و يواجه في الحياة الباريسية صعوبات جمة، و يظل كذلك إلى أن وفقه الله إلى ملاقاة الفتاة التي عطفت عليه و كانت له في حياته العين المبصرة، والزوجة الرفيقة المخلصة [3] و هذا ما تستبينه من قوله في الفصل الخامس عشر الذي وضع له إسم " المرأة التي أبصرت بعينها " فتراه يستهل هذا الفصل بقوله: " و استأنف الفتى حياة جديدة بأوسع معاني هذه الكلمة و أعمقها؟ كان يرى نفسه في كلمة أبي العلاء حين قال أنه أنسي الولادة و حشي الغريزة كان يرى نفسه إنسانا من الناس ولد كما يولدون و عاش كما يعيشون.."([4]) ويعود إلى القاهرة بعد نيله شهادة الدراسة العليا في التاريخ من " السربون "، ودكتوراه الثانية، ويدرس في الجامعة و تغريه السياسة فينحاز إلى جماعة "عدلي باشا" فيلقى من جماعة " سعد زغلول " أي جماعة الوفد سخطا " يراه السعديون مارقا قد ملا المارقين، و يراه القصر كافرا بالنعمة جاحدا للجميل و يرى أنه أرضى ضميره و أدى واجبه، و ليكن بعد ذلك ما يكون ... "([5]) و هذا جل ما استطعنا أن نرصده في الجزء الثالث من كتاب الأيام لطه حسين و الذي مثل مرحلة جد مهمة من حياة أديبنا و دراسته و أدبه.

---

[1]- شوقي ضيف : " الأدب العربي المعاصر في مصر"- دار المعارف ف مصر -ط05 (1974م) ص 285.

2- طه حسين " الأيام " ص 402 .

3- حنا الفاخوري " الجامع في تاريخ الأدب " ص363 ,

2 - طـه حسين " الأيام " ص 591 .

3 - حنا الفاخوري " الجامع في تاريخ الأدب " ص363 .

و إذا كانت المحاولة في كتاب الأيام تحير الدارسين في عملية انتماء الكتاب الفني، فإن الباحثين قد تساهلوا في تسميته، و غفروا لعميد الأدب العربي نوعية الكتاب الخاصة وعلى الرغم من ذلك فإننا نجد فيه جوانب تقربه من الفن الروائي و لا غرو إن كانت كل الأحداث في الكتاب موضوعة لخدمة وإبراز تطوره، و لعل عدم التدخل المباشر من الدكتور طه حسين في تصوير حرمان الطفل و عجزه يكون سمة روائية في الكتاب علاوة على أسلوبه الذي يتراوح بين التصوير و التقرير

و إفساح في المجال و لو ضعيفا للحوار و هنا تبدو الأيام عبر أجزائها الثلاثة خليطا من عناصر ثلاثة : عنصر البحث، عنصر الرواية و عنصر السيرة الذاتية ([1]) وينعكس موقف أديبنا كروائي، وكاتب ترجمة ذاتية و باحث، على تقديمه الأحداث في كتابه فهو حين يلج إلى تقديم المواقف التي تكشف عن مشاعر الصبي وانفعاله دون تدخل مباشر في الأحداث يصبح أقرب إلى موقف الروائي الذي يكشف عن الدقة و الروعة. كما أن طبيعته كباحث فتظهر حين يهمل الصبي ليستكمل الحديث عن موضوع يراه ضروريا و ليس أهم بالنسبة له من موضوع العلم و الثقافة ([2]).

و بعد تقديمنا من خلال هذه الدراسة الموجزة لكتاب " الأيام " بأجزائه الثلاثة نلحظ مدى اهتمام طه حسين برصد جميع مجريات الأحداث التي اهتم بها في حياته منذ صباه و ما رافق هذه المرحلة من أحداث سواء كانت مفرحة أو صعبة عسيرة إلى أن صار شابا، و جميع المعارف التي اكتسبها سواء كانت في الأزهر أو الجامعة أو في أوربا خاصة في فرنسا حتى أصبح يلقب بعميد الأدب العربي . والأيام كما قدمها مؤلفها تعد سيرة ذاتية على الرغم من أن بعض الدارسين ذهبوا إلى القول بأن هذا الفن الأدبي يعد رواية كما ذكرنا آنفا .

المبحث الثاني : أبعاد الكتاب و مآخذه

أ ـ أبعاد الكتاب :

و الثقافة لدى الريفي، و حيث يعدوا القرآن و الحديث النبوي الشريف منهلا وحيدا لتلاميذ ذلك الزمان ، و الأساطير العربية و سيرها فبد ا بذلك طـه حسين مسلطا سيف النقد على تلك البيئة فهجرها إلى المدينة حيث الأزهر و العلوم الدينية، لتشكل الجامعة هنالك نقطة انطلاق أخرى يعبر بعدها إلى السربون في باريس و بدخوله إلى الجامعة كان يمر نفسيا في مرحلة تحول جعلت منه إنسانا آخر حيث حقق جوانب مهمة في شخصيته الثائرة على الواقع و ما الواقع إلا القري و الأزهر، و نظمها و علومها التي تغدوا في نظره ضيقة لا تأخذ الإنسان من حيز إلى آخر، بقدر ما تجمده و تبقيه أسيرا لاجترار معلومات تناولها الكثيرون قبله .([3])

و إذا كان الجزءان الأول و الثاني يمثلان عرضا للواقع الاجتماعي، و تململ الفتى فيه، فإن الجزء الثالث يكاد يكون تصريحا واضحا عن مشروع طـه حسين حيث يغدو عشقه للجامعة كمؤسسة ثقافية تعلم غير العلوم الدينية فكاكا كبيرا من اسر تلك العلوم و لا ريب في أن هذا العبورالذي أصاب الفتى والذي أحدث الكثير من الجديد في عالمه كان مدروسا و مصمما من قبل أديبنا، و قد دخل هذا الفتى إلى هذا الباب ليصل إلى العالم الأرحب حيث سيجد لمشروعه أسسه القويمة في علوم تساعده في ثورته و تبدد جو القلق في عالمه. كما يلقى مساحته الواسعة و القيمة في نفس الفتى، و كان يبشر كلما اتسع عالمه هذا، فقد اتصل بأساتذته الغربيين و تأثر بهم كثيرا منهم " نالينو و سنتلانا، و ميلوني " و قد أثمر هذا الاتصال ولعا تاما بالغرب و أدبه و ثقافته مناهجه، كما

---

1 ـ سالم المعوش " صورة الغرب في الرواية العربية " ص382 .

2- عبد المحسن طه بدر:" تطور الراوي العربية الحديثة في مصر "- دار المعراف- مصر- ط04 –(دت) ص 309.

3- سالم المعوش: " صورة الغرب في الرواية العربية " – ص 382.

كان فاتحة عهد جديد للعلاقة الشرقية الغربية، و هذا ما دفع معلم الانفتاح على الغرب " لطفي السيد " لأن يشجع الفتى فتنبأ له مرة بأنه سيكون موضعه من مصر موضع فولتير من فرنسا.
و هكذا انصرف الفتى إلى الكتابة موزعا بين مذهبين من مذاهب الكتابة في ذلك الوقت أحدهما مذهب الاعتدال و القصد ذلك الذي كان " لطفي السيد " يدعوه إليه و الآخر مذهب الغلو و الإسراف، ذلك الذي كان عبد العزيز جاويش يغريه به، و كان الفتى يستجيب للمذهبين جميعا فإذا اقتصد نشر في الجريدة و إذا غلا نشر في صحف الحزب الوطني. لا ريب في أن الإجماع الكبير في موقفه من الثقافة الغربية و ضرورة الأخذ بها و ما جاء في كتاب الأيام في أنه من كبار الداعين إلى الأخذ بالثقافة الغربية بالقدر الذي تستقيم به شخصيتنا العربية و ندخل إلى معترك الحياة مزودين بآخر ما توصلت إليه الحضارة ولا شك أيضا " كان جيل الرواد الذي يق على رأسه طـه حسين يمثل ذروة التمرد على كل الأشياء المقيمة و القوانين و القوالب الثابتة في الفن و الحياة على السواء.
و إذا كانت هذه المعركة قد جرت على طـه حسين كثيرا من المشاكل و وجهت نحو صدره رأس السهم ، وإذا كانت قد وئدت لسبب أو لآخر إلا أنها على الرغم من ذلك كانت تمثل شموخ التطلعات الثقافية في أدبنا الحديث "([1])

ب ـ مآخذ الكتاب :
إن كتاب الأيام صورة واعية بين الإنسان و بيئته و كاتبه يعمد إلى تصوير ذلك الصراع و لا يدعه ليستنتج من طبيعة السيرة نفسها، فهو يصف مراحله و يتدرج بها، معتمدا على أن حياته خير مثال للانتصار على البيئة، و الوصول في النهاية لكن طبيعة الثروة عنده ليست قوية وهي في جانبها الإيجابي لا تزال أضعف منها في الجانب السلبي، و تتجمع العاصفة في نفس الصبي عن طريق الصدمات التي يتلقاها من الناس والمجتمع، بطريقة سلبية([2]).
و قد تدرج الكاتب تدرجا قويا ساطعا مع نمو سوء الظن في نفسه، و ارتيابه فيما يدعيه الناس من حق و صدق و تدين، لأنه ركز اهتمامه في نقل صورة مريبة من النفاق و الكذب، و خاصة في البيئة الدينية و كان من ثمرة هذا التصوير اقتراب النفس التي عانت حفظ القرآن الكريم سنوات طوال فلم تحفظه، اقترابها من حومة العقل و ابتعادها عن روح التدين في تلك البيئة، و تحوله إلى العقل مشوب بالعاطفة. وسيظل هذان العنصران غير منفصلان في نظرته إلى الناس و الأشياء، و قد أحب الكاتب بيئة الريف أكثر مما أحب بيئة الربع و الأزهر، و كان في تصويره الأول و سخريته بما فيه، أقدر منه على رسم الثاني، ومن العجيب أن تعمق السخرية حيث يعمق الحب.
و لكنه في الجزء الثاني صرف جهدا كبيرا في رسم الشخصيات التي عرفها في الربع، فكانت الوحدة المستقطبة حول الذات في الجزء الأول أوضح منها في الجزء الثاني، و على الرغم من بعض المواقف العاطفية في الكتاب فإن طبيعة الانسياب فيه، و سرده في ضمير الغائب (التمجد) فقد حققا شيئا من التجرد في الحكم. فباستعمال ضمير الغائب بريء من مظنة العجب و الدعوى و التمجد بالنفس ... و مما قلل من صراحته إخفاؤه للأسماء ـ أسماء الأماكن و الناس ـ فأضعف القيمة المكانية و شيئا من القيمة التاريخية في قصة حياته، و أبدى أنه لا يستطيع الجهر بأشياء كثيرة، لأن نفسه منذ الصغر طبعت على الاستحياء و التواري و انجذبت إلى الرزانة وشدة التحرج : " كان قليل الأكل لأنه كان قليل الميل إلى الطعام، بل لأنه كان يخشى أن يوصف بالشره أو أن يتغامز عليه إخوته... و

1 ـ سالم المعوش نقلا عن خيري شلبي " محاكمة طه حسين " المؤسسة العربية للدراسة و النشر بيروت (د ط) (1972) ص 17 - 18 .

2- إحسان عباس " فن السيرة " دار صادر بيروت ط01 (1996) ص 131

كان يستحي أن يشرب على المائدة مخافة أن يضطرب القدح في يده أولا يحسن تناوله حين يقدم إليه " و له في هذه النشأة عذر جلي، و لكن هذا لا يعفيه من أمر القوة في الصراحة، كما أن ذاكرته متحيزة، لأن طبيعته الحزينة جعلته يتذكر كل ما كان ينمي عنده سوء الظن و النقمة على مر الأيام.
غير أن هذا التحيز في التذكر ليس غلوا إذا قسناه بما في " ذكريات الطفولة " لإبراهيم عبد الحليم من تحيز صرف، فهناك نجد أن ذاكرة الطفل لا تعي إلا جانب الفساد في الناس، من أغنياء و فقراء، رجال و نساء، صغار و كبار، حكوميين ومدنيين.
أما الحوار في " الأيام " فلا يساهم في حيويته الشخصيات ... فبالقدر الذي كانت تبدو فيه هذه الشخصية متحركة و نابضة بالحياة كان الحوار يظهر و يقوى. لكن الشخصيات لم تكن تحظى باهتمام الكاتب و لم تبد في خصائصها و سماتها كبشر يتحركون و يتألمون فمعظمهم شخصيات قائمة الملامح...لا نعرف عنها سوى الصورة التي أراد لها لذلك بدت فجأة كاملة و اختفت فجأة لا نعلم عن مصيرها شيئا... و لذلك كان الحوار ضعيفا و وحدها كانت شخصية الفتى تحظى بالتفصيل و التدقيق في عرضها. لذلك بدت واضحة في معاناتها و كي يزيد في إيضاح هذه الشخصية كان السرد بضمير الغائب و هذه الطريقة هي([1])" التقنية المتقدمة عن طريق نضوج التقنية الروائية في الوطن العربي و من المعروف أن ضمير الغائب يعطي الكاتب مسافة تبعده عن ذاته و تعطيه أقصى ما يمكنه من الموضوعية ظاهريا على الأقل " ([2]) و هذا الاستعمال هو ما يقرب الكاتب من الفن الروائي لأن الرواية تحتاج الموضوعية و ضمير الغائب يوفر المزيد من الموضوعية على الرغم من غلبة أسلوب التقرير على التصوير في الكتاب .

إلا أن النواقص التي نلمحها في كتاب الأيام إذا ما قبلنا دراسته كرواية فنية تبدو متلائمة أمام اعتقاد الدكتور طـه حسين بأنه لا يكتب رواية... و مع هذا فإن محمود تيمور في كتابه " اتجاهات الأدب العربي " يرى في طـه حسين " نجما لمع في الأفق القصصي... يجمع إلى الثقافة العربية الأصيلة ثقافة أوربية جامعية حين شرع يكتب سيرة شخصية مكتملة العناصر الفنية للقصص الرفيع و هي سيرته هو منذ طفولته... فكان لتلك السيرة التي حملت اسم الأيام صدى بعيدا في الأدب الجديد..."([3])
و في الأيام نجد الفتى، سيدنا، الأم، الأب و الأخت، و غيرهم كلهم بلا أسماء. قلما يذكر الاسم إلا إذا كان ممن عرفهم التاريخ العام من أساتذته أو الساسة الذين أثروا حياته، و من الطريف أن تلاحظ أن الأيام تحمل من الأسماء بمقدار قربها من التاريخ المعاصر. فالجزء الثالث فيه من الأسماء عدد لا بأس به في حين إن الجزء الأول لا نكاد نصادف فيه اسما إلا ناذرا([4]).

<u>المبحث الثالث</u> : الخصائص الأسلوبية و الفنية

تعد السيرة الذاتية التي جسدها طـه حسين في كتابه الأيام تحفة أدبية تميزت بمجموعة من الخصائص الأسلوبية و الفنية التي سنحاول أن نذكر أهمها من خلال المميزات التالية : لقد كان أديبنا في هذا الكتاب عذب الحديث فالألفاظ و العبارات على نصاعتها تمتاز بنعومة ذات رواء و تلك موهبة خاصة تعرف في الذين إذا سمعت حديثهم قلت هذا هو السحر الحلال ([5]) ، رائع الفن، و يظهر ذلك جليا من خلال الأساليب البلاغية و الفنية التي استخدمها في الأيام، صريح القول يتبع الأحداث في

1- سالم المعوش " صورة الغرب في الرواية العربية " ص 394 .

2- المرجع نفسه , سالم المعوش " صورة الغرب في الرواية العربية " ص 394 نقلا عن محمد كامل الخطيب "المغامرة المعقدة" منشورات وزارة الثقافة دمشق (دط) (1976) ص 44 .

2 - ياغي " الجهود الروائية " دار العودة بيروت ط01 (1972) ص 77 .

4_ سهير القلماوي " ذكرى طـه حسين " ص130 .

5_ أنس المقدسي " الفنون الأدبية و أعلامها في النهضة العربية الحديثة ص570.

ذاكرته و في نفسه و في قلبه ومجتمعه فينشر عالما من الإشفاق و الاهتمام، و الانتصار لما يقول و لما يفعل، فتبتئس لابتئاسه([1])في مثل قوله يصف لنا حاله في مرحلة الصبا و قد حرم على نفسه أنواعا من الطعام لأنه كان يخجل من نفسه و تصرفاته في الأكل فيقول : " قد أخذ اللقمة بكلتا يديه وغمسها من الطبق المشترك ثم رفعها إلى فمه، فأما إخوته فاغرقوا في الضحك، و أما أمه فأجهشت بالبكاء، و أما أبوه فقال في صوت هادئ حزين: ما هكذا تؤخذ اللقمة يا بني... و من ذلك الوقت حرم على نفسه ألوانا من الطعام لم تبح له إلا بعد أن جاوز الخامسة و العشرين... "([2]) و تسخط لسخطه و تثور لثورته([3]) ، و هذا ما نلمسه في مواقف عديدة من الكتاب و كمثال على ذلك قوله يظهر فيه رأيه حول امتحان اجتازه في الأزهر حيث يقول " و لقد دهش الصبي لهذا الامتحان الذي لا يصور شيئا و لا يدل على حفظ و قد كان ينتظر على أقل تقدير أن تمتحنه اللجنة على نحو ما كان يمتحنه أبوه الشيخ ، و لكنه انصرف راضيا عن نفسه ، ساخطا على ممتحنيه ، محتقرا لإمتحانهما ... "([4])
هذه الحالات تروعك الرصانة و الشفافية النفسية التي تتراءى من خلالها النفس الطيبة، اللينة التي تذوب لينا من المواقف الإنسانية، و يتحول لينها إلى صمود في نصرة الحق و العدل، و إن ثار على الأزهر و أركان التعليم فيه فما ذلك إلا غيرة على الحقيقة الدينية([5])، فها هو يصف لنا حاله في الأزهر: " و كان الفتى يفكر في ان أمامه ثمانية أعوام أخرى سيعدها ثمانين عاما كما عد العوام الربعة التي سبقتها ، وفي أن عليه أن يختلف إلى هذه الدروس كما تعود أن يفعل و أن يعيد و يبدىء في الكلام الذي لا يسيغه و لا يجد فيه عناء... ([6])
كما و يتميز أسلوبه بروعة التصوير الأدبي الذي قد يكون حسيا أو معنويا ، قال المؤلف يصف مجلسا لبعض الطرق الدينية : " فإذا صليت المغرب مدت الموائد ، و أكل الناس ثم تصلى العشاء ثم ينصب المجالس و نصب المجلس عبارة عن اجتماع الناس في حلقة الذكر يذكرون الله قاعدين ساكنين ثم تتحرك رؤوسهم و ترتفع أصواتهم قليلا ، ثم تنبث في أجسامهم رعدة فإذا هم جميعا وقوف قد دفعوا في الهواء كأنما حركهم لولب و قد انبث في الحلقة شيوخ شعر ابن الفارض و ما يشبهه من الشعر([7]) كما و
يروقك في كتاب طـه حسين المصارحة الاعترافية التي تجهد في أن تنقل الحقيقة في غير مواراة و لا تزيين و في غير مغالاة و لا تبطين، و التي تحدثك محاولة ألا تنسى شيئا و أن لا تخفي شيئا([8]) مثل قوله : "نحيفا شاحب اللون مهمل الزي أقرب إلى الفقر منه إلى الغنى ، تقتحمه العين اقتحاما في عباءته القذرة ، و طاقيته التي استحال بياضها إلى سواد قاتم ، وفي القميص الذي يبين من تحت عباءته و قد اتخذ ألوانا مختلفة من كثرة ما سقط عليه من طعام ، و في نعليه الباليتين المرقعتين ، تقتحمه العين في هذا كله ، و لكنها تبتسم له حين تراه على ما هو عليه من حال رثة و بصر مكفوف واضح الجبين ، مبتسم الثغر ، مسرعا مع قائده إلى الأزهر لا تختلف خطاه ، و لا يتردد في مشيته ... "([9]) و هذه الشخصية تعتمد على التلميح الواضح إذا كان الكلام أو الموقف قبيحا، و هي تحاول أبدا

1-حنا الفاخوري "الجامع في تاريخ الأدب العربي" ص 364

2- ينظر طه حسين : " الأيام "- ص 23.

3- حنا الفاخوري : " الجامع في تاريخ الأدب العربي " – ص 364.

4- ينظر طه حسين : " الأيام " – ص 278.

5- حنا الفخوري "الجامع في تاريخ الأدب العربي" ص364

6- أنس المقديسي " الفتوت الأدبية و أعلامها في النهضة العربية " ص 570.

7- طه حسين "الأيام" ص 367

8- حنا الفخوري "الجامع في تاريخ الأدب العربي" ص365

9- طه حسين "الأيام" ص 144

أن تلطف الكلمة أو العبارة من غير أن تحدهما في التعبير عن كامل الحقيقة، و كم في هذه المصارحة الاعترافية من العذوبة التي تجعل الكلمة مقبولة، مستساغة و إن كانت لا تخلوا من قسوة. و قد تلمس في اعتراف الرجل و حديثه بسمة تهكم ([1])، والتهكم في اللغة الاستهزاء و التحقير، على أنه في الفن الأدبي يعني النقد الفكه أو الهجاء المبطن بالدعابة كقوله يصف شيخا : " و منهم هذا الشيخ الذي كان في أول أمره حمارا ينقل الناس بضائعهم و أمتعتهم ثم صار تاجرا أو اقتصرت حمرته على نقل تجارته و الذي كان الناس مجمعين على أنه أكل أموال اليتامى، وأثرى على حساب الضعفاء و الذي كان يكثر من ترديد هذه الآية :" **إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا و سيصلون سعيرا"** (النساء الآية 10)([2]) و طـه حسين في حديثه دقيق إلى أقصى حدود الدقة ، إنه يعمل على استقصاء الأمور و توضيحها في شتى تفصيلاتها،و إبرازها خالية من كل غموض أو التباس ، و قد يغالي أحيانا في التفصيل و التطويل الذي ينقلان عن القارئ الذي يطلب المتعة أكثر مما يطلب الاستقصاء كما و يستهويك في كتابه السهولة التي تترفق في العبارة اللينة الجوانب، و إن طالت، و في اللفظة التي تنزل في محلها لا لشيء إلا للتعبير الدقيق البعيد عن التخيل و التعقيد و هكذا فأسلوبه أسلوب الترقق الهادئ الذي يجري و يجري طليا في انسياب متسلسل و في استطالة مترابطة الحلقات، و في تكرار لا يمجه الذوق و لا يستثقله الصدر.([3]) و أمثلة التكرار في كتاب الأيام متعددة و متنوعة نذكر هذا المثال من قوله: " ثم أدار المفتاح فانقطع جريان الماء، ثم رد على الإبريق غطاءه، ثم هزه هزا رفيعا ليبلغ ما فيه من الماء الساخن أجزاءه كلها، ثم قام فألقى ما في الإبريق فما ينبغي أن يجد الشاي برد الخزف فإن ذلك يفسده، ثم انتظر بهذا الشاي ثواني، ثم صب عليه الماء في رفق من دون أن يملأ الإبريق إلى غايته... " و قد تجد مثل هذا التكرار و الترديد في كثير من مواضع الكتاب و هو كما يقال خروج عن أسس البلاغة و الواقع أنك لا تجد خروجا عن سنن البلاغة ، فقد أصبح بنفسه بلاغة تحتدى كهذا الأسلوب، فما هو إلا حديث ممتع لما يحتويه من طلاوة و روعة في التعبيرو التصوير.([4])

و هذا الأسلوب المتموج الزاخر بالنغم. فلا تسمع لكلام طـه حسين حتى تعرفه بطوابعه المعينة في عباراته المألوفة التي يأخذ بعضها برقاب بعض في جرس موسيقي رائع، و كأنه يرى أن الأدب الجديد بهذا الاسم هو الذي يروع القلب في آن واحد و لذلك يوفر لصوته كل جمال ممكن و من هذه الناحية يشبه أدباءنا القدماء من أمثال " الجاحظ " الذين كانوا يقصدون إلى التأثير بموسيقى كلامهم، فالكلام يؤدي بأوجز عبارة، و إنما يبسط بسطا ليحمل أداء موسيقيا يضاف إلى أداء الأفكار و المعاني. و من هنا نلحظ أن طـه حسين قد احتفظ لنا بخصائص لغتنا القديمة ، فوفر لأسلوبه كل ما يستطيع من جمال صوتي، و أتاح لهذا الجمال أن يعبر تعبيرا طبيعيا عن نظراته و تحليلاته، و كل ما نقله إلينا من الغرب، فلم يعد الجمال الصوتي عنده فارغا بل أصبح جزء لا يتجزأ من أدبه، بل لقد غدا في يده أداة مرنة شفافة، تنتقل إلينا كل ما يختلج في عقله و قلبه من عواطف و مشاعر نقلا دقيقا، فالأسلوب عنده ليس كساء أو طلاء و إنما هو قوام أدبه ومادة فنه، يسند به كلما يتدفق على ذهنه من معان و أفكار و ألفاظ و كلمات([5]) و لما كان الصوت يلعب في أدب طـه حسين دورا ضخما ضخما فقد دمغ فنه الروائي ببصمات قوية و شغل جزء هاما من وصفه لمل يحس من حوله فإننا نقف بصوت الظلمة هذا لنتأمل قوله " صوتا متصلا يشبه طنين البعوض لولا أنه غليظ ممتلئ، و كان هذا

1- حنا الفخوري "الجامع في تاريخ الأدب العربي" ص365

2- أنس المقدسي " الفنون الأدبية و أعلامها في النهضة العربية الحديثة " ص573

3- حنا الفخوري "الجامع في تاريخ الأدب العربي" ص365

4- أنس المقدسي " الفنون الأدبية و أعلامها في النهضة العربية الحديثة ص573

5- شوقي ضيف"الأدب العربي المعاصر في مصر" ص286

الصوت يبلغ أذنيه فيؤذيها و يبلغ قلبه فيملؤه روعا. فيجلس القرفصاء و يعتمد بمرفقيه على ركبتيه و يخفي رأسه بين يديه، و يسلم نفسه لهذا الصوت الذي يأخذه من كل مكان. و مع أن سكون العصر كان كثيرا ما يضطره إلى النوم فقد كان سكون العشية يضطره إلى اليقظة التي لا تشبهها يقظة " .([1])

و في نهاية المطاف نقول أن أديبنا قد تميز بـ: " الأسلوب البارع الذي يمس القلوب، و ينير العواطف بما فيه من سلاسة و عذوبة و صفاء، و قدرة على التصوير و التلوين، أسلوبه متموج زاخر بالنغم... فلا نستمع إلى كلام له حتى تعرف بطوابعه المعينة في عباراته الملفوقة التي يأخذ بعضها برقاب بعض في جرس موسيقي بديع... "([2])

إن دراستنا التطبيقية التي أجريناها على كتاب " **الأيام** " في هذا الفصل الثاني من بحثنا مكننا من الاطلاع على بجوانب متعددة من هذه الشخصية، وكلما انتقلنا من مرحلة إلا و اكتشفنا أشياء جديدة مرت بها. فمثلا في مرحلته الأولى التي تمثلت في الجزء الأول من الكتاب وقفنا على بيئة و منشأ أديبنا و دراسته في الكتاب أما المرحلة الثانية فقد خصصها للحديث عن أوربا و فرنسا بالخصوص. و أهم التغيرات التي أحدثها في شخصيته. ولولا هذا الكتاب لما استطعنا التعرف عليها و ما كان لأحد أن يكشف عن جوانبها كما فعل صاحبنا .

و كل ما يمكننا أن نقوله أن اغلب الدارسين قد أفاضوا في الحديث عن هذا الكتاب الذي يمثل السيرة الكاملة لحياة طـه حسين .

1- سهير القلماوي " ذكرى طـه حسين " ص 63 .

2- سالم المعوش " صورة الغرب في الرواية العربية " ص 393 .

قائمة المصادر والمراجع

المصـــــــادر

1- ابن منظور "لسان العرب"، دار صادر، بيروت، الط1 (1990) م4 .
2- أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء "معجم مقاييس اللغة"، دار الجيل، بيروت، الط 1 (1991) م3.
3- الفيروز أبادي (القاموس المحيط)، دار إحياء التراث، بيروت، الط1 1997.
4- طه حسين "إسلاميات"، منشورات دار الأدب، بيروت، الط01، شباط، (1974).
5- طه حسين "الأيام"، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الط02، (1974).
6- محمد التونحي (المعجم المفصل في الأدب)، دار الكتاب العلمية، بيروت، الط 02، (1999)، ج1ن .

المـراجـــــع

1- أبو بكر عبد الرزاق "وثائق قضايا طه حسين"، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الجزء01 (د.ط)، (1991).
2- إحسان حضر الديك "دراسات في اللغة والأدب"، دار المستقبل للنشر والتوزيع، (د.ط)، 1996.
3- إحسان عباس "فن السيرة"، دار صادر، بيروت، الط01، 1996.
4- أحمد أمين (النقد الأدبي) ملتزمة الطبع والنشر، مصر، الط4، (1972).
5- أحمد عزوز (مواضيع مختارة في الأدب العربي)، دار الريحانة، (د.ط)، (د.ت).
6- أحمد علبي (طه حسين- رجل وفكر وعصر)، دار الأدب، بيروت، الط01، (1985).
7- أنيس المقدسي (الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة).
8- حسان نصار "دراسات حول طه حسين"، دار اقرأ للنشر، بيروت، الط02، 1982.
9- حمدي السكوت (أعلام الأدب المعاصر في مصر)، الناشرون، مركز الدراسات العربية بالجامعة الأمريكية، دار الكتاب المصري، القاهرة ودار الكتاب اللبناني، الط 02 (1402هـ - 1982).
10-حنا الفاخوري (الجامع في تاريخ الأدب العربي)، الأدب الحديث، دار الجيل، بيروت، الط02، (1995).
11- سالم المعوش (صورة الغرب في الرواية العربية)، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، الجزء 01، (د.ط)، (1991).
12- سامح كريم (ماذا بقي من طه حسين)، دار العلم، بيروت، الط02، 1982.
13- سهيل القلماوي (ذكرى طه حسين)، دار المعارف بمصر، اقرأ، (د.ط)، 1974.
14- شوقي ضيف (الأدب العربي في مصر)، دار المعارف في مصر، الط05 (1974).
15- شوقي ضيف (الترجمة الشخصية)، دار المعارف بمصر، الط02، (1997).
16- عبد الرشيد صادق محمودي، (من الشاطى لآخر، طه حسين في جديده الذي لم ينشر سابقا)، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، الط 01.

17- عبد السلام محمد الشاذلي (شخصية المتفق في الرواية العربية الحديثة)، دار بيروت، ط01، 1985.
18- عبد المحسن طه بدر (تطور الرواية العربية الحديثة في مصر)، دار المعارف، مصر، الط4.(د.ت).
19- عز الدين إسماعيل (الأدب وفنونه)، دار الفكر العربي، الط08، (د.ت).
20- علي شلق (النشر العربي في نماذجه وتطوره لعصري النهضة الحديث)، دار القلم، بيروت، الط02 (1974).
21- غسان حمدون (تفسير من نسمات القرآن)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ودار سحنون للنشر والتوزيع، تونس (د.ط)، (1406).
22- محمد عبد الغني حسن (التراجم والسير)، دار المعارف بمصر، الط02، (د.ت).
23- ياغي (الجهود الروائية) ، دار العودة بيروت ، الط1 1972.

<u>الرسائل والمذكرات الجامعية</u>

أمل رشيد (المنطلقات الاستشراقية في الرؤية النقدية لطه حسين)، تلمسان، مذكرة الماجستير (2008).